

الإصلاح بالإسلام
(١)

الدكتور
محمد عمار
المفكر الإسلامي

العالمان بين الغرب والإسلام

منشأة وهبة
إشاعة الجمهورية تأليف
القاهرة، ٢٠١٧
نفس، ٢٠١٧



دار الكتب والوثائق القومية

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة

الشنون الفنية

عمارة، محمد

العلمانية بين الغرب والإسلام / محمد

عمارة.

القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١١م.

٨٠ ص: ٢٠سم. (الإصلاح بالإسلام: ١)

تدمك ٩٧٧ ٢٢٥ ٢٢٢ ٤

١- الإسلام والعلم

أ- العنوان

٢١٤,٥

ديوى

اسم الكتاب: العلمانية بين الغرب والإسلام

الدكتور محمد عمارة

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -

عابدين - القاهرة.

٨٠ صفحة: ٢٠ × ١٤سم

رقم الايداع: ٢٠١١/١٢٥٧١م

I.S.B.N الدولي

977-225-322-4

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة. غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأي وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

مُقدِّمة

فى هذا الكتاب -الذى نقدم بين يديه- دراستان؛

الدراسة الأولى: عن العلمانية بين الغرب والإسلام . .

والدراسة الثانية: عن علمانية المدفع والإنجيل . .

ولا نجد فى التقديم لهذا الكتاب أفضل من نشر سطور من (التقرير الرسمى) الذى وضعته لجنة من كبار المفكرين وأساتذة الجامعات البريطانيين، يرأسها البروفسور (جوردون كونواى) مستشار جامعة (ساكس) SUSSX وكان من بين أعضائها أسقف لندن، ورئيس تحرير صحيفة (نيوستيتسمان) وأستاذ القانون بجامعة (سوك هامبتون)، ومثلة عن هيئة الخدمة المدنية، ورئيس المجلس اليهودى لمنع التفرقة العنصرية، وعدد من كبار الأساتذة الجامعيين .

هذه اللجنة الرسمية التى تألفت لدراسة الموقف الغربى من الإسلام قد جاء فى تقريرها الرسمى:

(إنَّ الشائع فى الثقافة الشعبية والثقافة السياسية فى الغرب: أن الإسلام مصدر تهديد للدول والشعوب وللثقافة والحضارة الغربية. وإنَّ الفكرة السائدة: أن الإسلام تهديد رئيسى للسلام فى العالم. وأن التعصب الإسلامى تحوّل إلى مصدر للاضطرابات والإرهاب وأنه يماثل تهديد النازية والفاشية للعالم فى الثلاثينيات والتهديد الشيوعى فى الخمسينيات من القرن العشرين.

وإن الفكرة السائدة: أن الحرب مع الإسلام حتمية. وأن المتعصبين الإسلاميين يزداد عددهم ، وأنهم يهدفون إلى تدمير الحضارة الغربية، وهم سعداء لأن هذا هو (الجهاد) الذى يأمر به دينهم. وتتردد فى الأدبيات الغربية عبارة: (إن قبائل أصحاب العمامات سوف تنتصر) نتيجة لرفض الغربيين الإنجاب وتزايد الحاجة إلى المهاجرين، مما يهدد بأن تحيا الحضارة الغربية بعد ذلك بدماء غير أوروبية، وبتنشر الإسلام فى دول أوروبا والولايات المتحدة. وقد بدأ العد التنازلى بالسماح بتدريس القرآن فى المدارس. إن الناس فى الغرب يرفضون - لا شعورياً - الانتقادات التى يوجهها المسلمون للمجتمعات الغربية وللقيم الأساسية لهذه الحضارة، مثل: الحرية، والديمقراطية (والحدائث) وفصل الدين عن الدولة وعن السياسة. وأن تشبيه الإسلام بالشيطان ليس مقصوداً على الصحف الصغيرة، ولكن الصحف الكبرى والكتب والمحاضرات الجامعية فى الغرب تكرر عبارات الازدراء للإسلام.

وإنه من السذاجة الادعاء بعدم وجود صراع بين الغرب والإسلام اليوم، كما كان فى الماضى أيام الحروب الصليبية، وأيام الفتوحات الإسلامية فى إسبانيا، ووصول الجيوش الإسلامية إلى جنوب فرنسا، وانتشار الإسلام فى ألبانيا ويوغسلافيا بالغزو. وفى الوقت الحالى توجد صراعات المصالح، ويوجد الصراع المتعلق بإسرائيل، وبالسيطرة على البترول، وهذه الصراعات التى تؤدى حتماً إلى محاولة كل طرف إخضاع الآخر، وبسببها أيضاً تتراكم المشاعر المعادية للإسلام، ويزيد الأمر صعوبة وجود الصراع مع الإسلام فى الشيشان وأفغانستان والهند، ووجود توترات وصراعات سياسية داخلية فى

الدول الإسلامية ذاتها، وينظر الغربيون إلى هذه الصراعات على أنها صراع بين الحداثة الغربية والجمود الذي يمثله الإسلام، وحرص المسلمين على صيغ كل أمور حياتهم بالصبغة الدينية. إن العداوة للإسلام حقيقة في الثقافة الغربية المعاصرة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها^(١).

تلك سطور من هذا التقرير الرسمى الغربى . . الذى يعلن أن العداوة الغربى للإسلام حقيقة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها . . وأن الإسلام هو الشيطان!! وأن المعركة ليست فقط بسبب البترول وإسرائيل . . وإنما هي بين الحداثة الغربية - التى تريد فصل الدين الإسلامى عن الدولة والسياسة - أى تريد فرض العلمانية على الإسلام . . وعلى المسلمين «الذين يحرصون على صيغ كل أمور حياتهم بالصبغة الدينية».

هكذا . . فى هذا التقرير الرسمى، اتخذ الغرب الإسلام عدوًا . . وجعله أخطر من النازية والشيوعية . . متجاهلين أن هذا الغرب - الذى يشكو من الإسلام والمسلمين - يملأ بلاد الإسلام بجيوشه وقواعده العسكرية - وليس للمسلمين فى الغرب «عسكرى مرور»! ويمأ المحيطات والبحار الإسلامية بالأساطيل الحربية - وليس للمسلمين فى بحار الغرب (سفينة صيد)! . . وشركاته المتعددة الجنسيات والعبارة للقارات تنهب ثروات المسلمين! . . وكنايس الغرب تسير فى ركاب جيوش الغزو لتنصير ضحاياه، الذين يضطرون لبيع عقائدهم لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء!! .

(١) (صحيفة الأهرام) - مقال الأستاذ رجب البنا: (تقرير عن الإسلام والغرب)

فإذا ما أراد المسلمون تحرير بلادهم . . والتماس عزتهم من دينهم . .
جاء الغرب بالعلمانية التي تريد تحويل الإسلام إلى مجرد «طقوس» . .
وتمتات»، ليفرضها عليهم - بالمدفع والإنجيل - بدلا من الإسلام الذي
به يؤمنون. ذلك هو موقف الغرب تجاه الإسلام . . وهذه هي معركة
العلمانية الغربية مع الإسلام . . آثرنا الإشارة إليها في التقديم لهذا
الكتاب . سائلين المولى - سبحانه وتعالى - أن يجعل منه كتية من
كتائب «الجهاد الفكرى» فى معركة الذود عن حياض الإسلام . .
إنه - سبحانه - أفضل مسئول وأكرم مجيب .

دكتور

محمد عمارة

[١]

العلمانيةُ بين الغرب والإسلام

obeikandi.com

نشأة العلمانية

مصطلح «العلمانية»، هو الترجمة التي شاعت -بمصر والمشرق العربي- للكلمة الإنجليزية secularism . . . بمعنى الدنيوي . . . والعالمى . . . والواقعي- من الدنيا والعالم والواقع- المقابل «للمقدس» أى الديني «الكهنوتي» النائب عن السماء، والمحتكر لسلطتها، والمالك لمفاتيحها، والخاصر للطبيعة وسننها، والذي قدس الدنيا قداسة الدين، وثبت متغيراتها- العلمية والقانونية والاجتماعية- ثبات الدين . . . (١).

ولأن هذا هو معنى المصطلح، فى نشأته وملابساته الأوربية -النزعة الدنيوية، والمذهب الواقعي فى تدبير العالم من داخله، وليس بشريعة من ورائه- فلقد كان قياس المصدر هو -«العالمية»- أو «العلمانية». لكن صورته غير القياسية -«العلمانية»- هى التى قدر لها الشيوع والانتشار. والعلمانية، كنزعة فى تدبير العالم، وكمذهب فى المرجعية الدنيوية لشئون العمران الإنسانى، لا يمكن فهمها -ومن ثم فهم الموقف الإسلامى منها- بمعزل عن الملابس الأوربية، لنشأتها فى إطار الحضارة الغربية المسيحية، بجذورها الإغريقية الفلسفية، وتراثها

(١) انظر (معجم العلوم الاجتماعية) -وضع مجمع اللغة العربية- القاهرة سنة ١٩٧٥م.
(وقاموس علم الاجتماع) -إشراف دكتور عاطف غيث. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.
ودكتور محمد البهي (العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق) ص ٨٠٧ . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م.

الرومانى القانونى . والإضافة المسيحية لهذه الجذور وذلك التراث . .
وإذا كان التفصيل فى هذه القضايا هو مما يخرج هذه الدراسة عن آفاقها
ومقاصدها . . فإننا نكتفى بالإشارة إلى بعض القضايا فى شىء من الإيجاز:
لقد ظلت المسيحية، منذ نشأتها وعبر قرون طويلة من حياتها فى
المجتمعات الأوربية: دينا لا دولة، وشريعة محبة لا تقدم للمجتمع
مرجعية قانونية ولا نظاماً للحكم، ورسالة مكرسة لخلاص الروح تدع
ما لقيصر لقيصر، وما لله لله . . وظلت رسالة كنيستها خاصة بمملكة
السماء، لا شأن لها بسلطان الأرض وقوانين تنظيم الاجتماع البشرى،
فى السياسة والاجتماع والاقتصاد، وعلومها ومعارفها . .

وعبر هذه القرون، حكمت العلاقة بين الكنيسة والدولة -أى
الدين والمجتمع- نظرية (السيقين) -Theory of The Two Swords-
-أى السيف الروحى- أو السلطة الدينية للكنيسة- والسيف الزمنى-
أو السلطة المدنية للدولة .

فلما حدث وتجاوزت الكنيسة حدود رسالة الروح ومملكة
السماء، فاغتصبت السلطة الزمنية أيضاً، أضفت على الدنيا قداسة
الدين، وثبتت متغيرات الاجتماع الانسانى ثبات الدين؛ فدخلت
المجتمعات الأوربية مرحلة الجمود والانحطاط وعصورها المظلمة . .
وسادت فى تلك الحقبة نظرية (السيف الواحد) (Theor of One
Sword)- أى السلطة الجامعة بين الدينى والمدنى- سواء تولاها
«البابوات- الأباطرة» أو الملوك الذين يوليهم ويباركهم البابوات-

وعرف هذا النظام، فى التاريخ الأوروبى، بنظرية الحق الإلهى للملوك (Divine Right of The KINGS). (١)

وفى مواجهة هذا النظام، وواقع الانحطاط الحضارى الذى أثمرته تطبيقاته - التى قدست الدولة وحكامها... وجمدت الدنيا ومجتمعاتها وعلومها - كانت «الثورة العلمانية» التى فجرتها فلسفة التنوير الأوروبى، التى أقامت قطيعة معرفية مع فلسفة الحكم الكهنوتى، وأسست النزعة العلمانية الحديثة على التراث الأوروبى القديم وعلى عقلانية التنوير الأوروبى الحديث، التى أحلت «العقل» و«التجربة» محل «الدين» و«اللاهوت».

لقد أعادت «الثورة العلمانية» الكنيسة إلى حدودها الأولى: خلاص الروح، ومملكة السماء، وجعل ما لقيصر لقيصر من دون الله!...

وجعل «العقل» و«التجربة»، دون «الدين»... و«اللاهوت»، المرجع فى تدبير شئون العمران الإنسانى، أى عزل «السماء» عن «الأرض» انطلاقاً من فلسفة أن العالم مكتف بذاته، تدبره الأسباب المخلوقة فى ظواهره وقواه وطبيعته، دونما حاجة إلى رعاية إلهية أو تدبير شرعى نازل مما وراء الطبيعة والعالم..

فالعلمانية هى: جعل المرجعية فى تدبير العالم إنسانية خالصة، ومن داخل العالم، دونما تدخل من شريعة سماوية هى وحى من الله المفارق لهذا العالم. ولقد عرفت العلمانية الأوربية - غير التيار المادى الملحد-

(١) انظر: (موسوعة العلوم السياسية) المجلد الأول - مادة (حق الحكم الإلهى) طبعة الكويت سنة ١٩٩٣م، ١٩٩٤م.

تياراً مؤمناً بالله، استطاع فلاسفته - من أمثال: هوبز HOBBS -
[١٥٨٨ - ١٦٧٩م] ولوك LOKE [١٦٣٢ - ١٧١٦م] وليبنز LEIB-
NIZ وروسو ROUSSEAU [١٧١٢ - ١٧٧٨م] وليسنج LESSINC [١٧٢٩ - ١٨٧١] -
التوفيق بين الإيمان بوجود إله خالق للعالم وبين
العلمانية التي ترى العالم مكتفياً بذاته، فتحصر تدبير الاجتماع البشرى
فى سلطة البشر المتحررة من شريعة الله . .

وكان هذا التوفيق مؤسساً على التصور الأرسطيّ لنطاق عمل الذات
الإلهية . . فالله، فى التصور الأرسطي، واحد، مفارق للعالم، وخالق
له . . لكنه قد أودع فى العالم والطبيعة الأسباب التى تدبرهما تدبيراً
ذاتياً دونما حاجة إلى تدخل إلهي، أو رعاية إلهية فيما بعد مرحلة الخلق
«فالحركة توجد فى الشيء بذاته ولذاته، لا من حيث إن شيئاً خارجياً
هو الذى يحدث فيه هذه الحركة» و «عناية الله موقوفة على ذاته» . .
«ولا تدخل له فى الأحداث الجزئية فى العالم والطبيعة»^(١) فالعالم
مكتف بذاته، تدبره الأسباب المودعة فيه، وهو وحده مصدر المعرفة
الحقة، القابلة للبرهنة والتعليل، وتدبير الدنيا مرجعيته الإنسان- بالعقل
والتجربة- دون رعاية أو تدبير أو تدخل من السماء- هكذا استندت
العلمانية، فى تأسيس «دنيويتها»، على التصور الأرسطيّ لنطاق عمل
الذات الإلهية- فهو مجرد خالق . . . فرغ من الخلق . . وانحصرت
عنايته بذاته، دونما رعاية أو تدبير للمخلوقات- كصانع الساعة، الذى

(١) دكتور عبد الرحمن بدوي (موسوعة الفلسفة) - مادة أرسطو طاليس - ص ١٠٤ .

أودع فيها أسباب عملها، دون حاجة لوجوده معها وهي تدور! . . .
وساعد العلمانية على الانتصار لهذه النزعة، التصور المسيحي لعلاقة
الدين بالدولة، فهو تصور يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف بالدين عند
خلاص الروح ومملكة السماء، دون أن يقدم شريعة للمجتمع والدولة،
الأمر الذي جعل (سجن) الدين في الكنيسة وفي الضمير الفردى «ثورة
تصحيح ديني» وليس عدواناً على الدين! . . .

وساعدها على ذلك أيضاً. أن التراث الروماني في فلسفة التشريع
والتقنين، قد جعل «المنفعة»، غير المضبوطة بالدين وأخلاقه وشريعته
السماوية، هي المعيار- فكان الطريق إلى القانون الوضعي مفتوحاً أمام
العلمانية، يزكيه هذا التراث! . . .

هكذا نشأت العلمانية في سياق التنوير الوضعي الغربي، لتمثل
عزلاً للسماء عن الأرض، وتحريراً للاجتماع البشري من ضوابط
وحدود الشريعة الإلهية، وحصراً لمرجعية تدبير العالم في الإنسان،
باعتباره «السيد» في تدبير عالمه وديناه. . . فهي ثمرة من ثمرات
عقلانية التنوير الوضعي، الذي أحل العقل والتجربة محل الله
والدين، وهي قد أقامت مع الدين- في تدبير العالم- قطيعة
معرفية- وبعبارة واحد من دعاة التنوير الغربي- «لم يعد الإنسان
يخضع إلا لعقله. . . . في أيديولوجيا التنوير. . . التي أقامت القطيعة
الابستمولوجية- (المعرفية) الكبرى التي تفصل بين عصرين من الروح
البشرية: عصر الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الأكويني، وعصر

الموسوعة لفلاسفة التنوير . . فراح الأمل بمملكة الله ينزاح لكي يخلي
المكان لتقدم عصر العقل وهيمته . . وراح نظام النعمة الإلهية ينمحي
ويتلاشى أمام نظام الطبيعة . . وأصبح حكم الله خاضعاً لحكم الوعى
البشرى، الذى يطلق الحكم الأخير باسم الحرية^(١) إنها عزل السماء
عن الأرض، والدين عن الدنيا، وإحلال الإنسان- فى تدبير العمران
البشرى- محل الله! . . .

(١) أميل بولا (الحرية، العلمنة: حرب شطري فرنسا ومبدأ الخدائنة) منشورات سيرف.
باريس سنة ١٩٨٧م. (والنقل عن هاشم صالح -مجلة «الوحدة» -المغرب- عدد فبراير
-مارس سنة ١٩٩٣م ص ٢٠، ٢١.

وفود العُلمانية إلينا فى

ركاب الغزوة الاستعمارية

وإذا كانت غزوة بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١م) لمصر (١٢١٣هـ-١٧٩٨م) قد مثّلت بداية الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لوطن العروبة- قلب العالم الإسلامي- بعد أن التف هذا الاستعمار حول هذا العالم- عبر أربعة قرون؟!...

فإن هذه الغزوة قد تميزت عن سابقتها الصليبية (٤٨٩-٦٩٠هـ-١٠٩٦-١٢٩١م) باستهدافها احتلال العقل، واستبدال الفكر، وتغيير الهوية- مع احتلال الأرض، ونهب الثروة، واستعباد الإنسان!.. فكانت العلمانية واحدة من الوافد الغربيّ فى ركاب الغزاة...

وللمرة الأولى تترجم الكلمة الفرنسية LAILQUE بكلمة «علمانى» فى المعجم الفرنسيّ العربيّ الذى صدر سنة ١٨٢٨م، والذى وضعه «لويس بقطر المصري»-الذى خدم فى جيش الاحتلال الفرنسيّ بمصر، ثم رحل معه، ليدرّس العامية المصرية فى مدارس باريس؟! - ترجمت «اللائكية» بالعلمانية، من «العَلْم» نسبة إلى «العَالَم» باعتباره «الدنيا» المقابلة «للدين»^(١)...

(١) دكتور السيد أحمد فرج (علمانى وعلمانية، تأصيل معجمي) مجلة (الحوار) عدد ٢. ص ١٠١-١١٠- سنة ١٩٨٦م.

وفى كل موقع من بلاد الإسلام قامت فيه للاستعمار الغربي سلطة ودولة، أخذ هذا الاستعمار - شيئاً فشيئاً - يُحلّ النزعة العلمانية فى تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل «الإسلامية»، ويزرع القانون الموضوعي العلمانيّ حيثما يقتلع شريعة الإسلام وفقه معاملاتهما.

- ففي الجزائر وتونس، أخذ الاستعمار الفرنسيّ فى إحلال القانون الموضوعيّ العلمانيّ محلّ الشريعة الإسلامية وقانونها - وكذلك صنعت إنجلترا بمصر بعد أن احتلتها.. وعن هذا الغزو القانونيّ بالوافد العلمانيّ يحدثنا عبد الله النديم (١٢٦١-١٣١٣هـ - ١٨٤٥-١٨٩٦م) فيقول: (إن دولة من دول أوروبا لم تدخل بلدًا شرقيًا باسم الاستيلاء، وإنما تدخل باسم الإصلاح وبث المدينة وتنادى أول دخولها بأنها لا تتعرض للدين ولا للعوائد، ثم تأخذ فى تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً...

كما تفعل فرنسا فى الجزائر وتونس، حيث سنت لهم قانوناً فيه بعض مواد تخالف الشرع الإسلامي، بل تنسخ مقابلها من أحكامه، ونشرته فى البلاد، واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم، ولما لم تجد معارضاً أخذت تحوّل كثيراً من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام، توسيعاً لنطاق النسخ الدينيّ. ولم نلبث أن جاريناها (فى مصر) وأخذنا بقانون يشبهه..^(١)

فبالقانون العلمانيّ يتم النسخ الدينيّ، والمسوخ لشريعة الإسلام!

(١) مجلة (الأستاذ) العدد الثاني والعشرون ص ٥١٤، ٥١٥ - بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣١٠هـ - ١٧ يناير سنة ١٨٩٣م.

ومع القانون العلماني -الوضعي الذي لا يضبط «المنفعة» بالشرع.. ولا يحكم حقوق الإنسان بحقوق الله وحدوده - جاءت الغزوة الاستعمارية الغربية إلى بلاد الإسلام بمفهوم الحرية الإنسانية المتحرر من الضوابط الشرعية، والمؤسس على أن الإنسان هو سيد العالم ومرجع التدبير للعرمان- وليس على المفهوم الإسلامي للاستخلاف، الذي يضبط حرية الخليفة بالشرعية الإلهية، التي هي معالم التدبير الإلهي للاجتماع الإنساني، وفيها بنود عقد وعهد الاستخلاف الإلهي للإنسان..

وعن هذا المفهوم العلماني للحرية- الذي يقضى- بعبارة عبد الله النديم: «بعدم تعرّض أحد لأحد فى أموره الخاصة» يقول النديم فى نقده.. وفى بيان بديله الإسلامى: «إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق، والوقوف عند الحدود. وهذا الذى نسمع به ونراه رجوع إلى البهيمية وخروج عن حد الإنسانية.. إنها حرية بهيمية ينفر منها البهيم.. ولئن كان ذلك سائغاً فى أوربا، فإن لكل أمة عادات وروابط دينية أو بيتية، وهذه الإباحة لا تناسب أخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم، وهى لا توافق عوائد أهل الشرق ولا أديانهم. والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الأمة من غير أن يحنى أو يغرى بالجناية عليها بما يبيحه من الأحوال المحظورة عندها....»^(١).

بل إن تسلل القانون العلماني الغربي، واختراقه لمؤسساتنا القضائية والتشريعية، قد سبق أحياناً الاحتلال العسكري المباشر والسلطة

(١) مجلة (الأستاذ) العدد التاسع عشر ص ٤٣٩. والعدد الثامن والعشرون ص ٩١٢.

الاستعمارية السافرة، وذلك عندما رافق تزايد «النفوذ» الاستعماري في بلادنا، وتضخم الجاليات الأجنبية فيها. فكان تسله هذا تمهيداً للاحتلال والاستعمار؟!.

ففى مصر: على عهد الخديوى سعيد (١٢٣٧-١٢٧٩هـ - ١٨٢٢م) صدرت «إرادة»؟! فى (١٢ شعبان سنة ١٢٧٢ هـ ١٨ إبريل سنة ١٨٥٥م - بإنشاء محكمة تجارية [مجلس تجار] مختلط من المصريين والأجانب، ليقضى فى المنازعات التجارية التى يكون الأجانب طرفاً فيها^(١)... فبدأ الاختراق العلماني لمؤسسة القضاء. ومع تزايد النفوذ الأجنبي أصبحت للأجانب الأغلبية فى عضوية محكمة [قومسيون مصر] ثلاثة مصريون، وأربعة أجانب^(٢).

وبعد أن تعددت «المحاكم القنصلية» التى يقضى فيها قضاة أجانب بالقانون الأجنبي، فى المنازعات التى يكون أحد طرفيها أجنبياً - حتى بلغت - فى ظل الامتيازات الأجنبية - سبع عشرة محكمة - «نظمت هذه الفوضى» القانونية والقضائية سنة ١٨٧٥م بإنشاء «المحاكم المختلطة» - وهى التى تقضى فى المنازعات بين المصريين والأجانب «بقانون نابليون» العلماني . . وباللغة الفرنسية، وأغلبية قضاةها أجانب، والرئاسة فيها للأجانب. . وفى دائرتها الجزئية، ذات القاضى الواحد، ينفرد . .

(١) أمين سامي باشا [تقويم النيل] المجلد الأول من الجزء الثالث. ص ١٦٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦م.

(٢) عبد الرحمن الرافعي [عصر إسماعيل] ج ١ ص ٤٧ ٤٨، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨م.

القضايا الأجنبية بالحكم، وكذلك في دوائر: الأمور المستعجلة، والوقتية، والبيوع، ونزع الملكية العقارية؟! (١)

فتم الاختراق العلماني لمؤسستي «القضاء» و«التشريع» معاً... إذ «لم يقتصر النظام المختلط على إنشاء قضاء أجنبي نافذ الأحكام على الرعايا الوطنيين وعلى حكومة البلاد، بل خوّل الدول الأجنبية حق التدخل في التشريع الذي يسرى على رعاياها». (٢)

بل إن قاضياً هولندياً بهذه المحاكم المختلطة «فان بلمن» VON BEMMELEN قد وصف القضاء القنصلي بأنه «وليد الاغتصاب الواقع من الأقوياء على حقوق الضعفاء»، ووصف المحاكم المختلطة - وكان قاضياً بها - «بأنها ركن قوى من أركان السيطرة الأوربية على مصر» (٣)!

ولم تُجد في مقاومة هذا التسلل العلماني إلى القضاء والتشريع المصريين «صيحة التحذير» التي أطلقها رفاة الطهطاوى [١٢١٦-١٢٩٠هـ- ١٨٠١-١٨٧٣م] عندما كتب [١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م] عن هذه المجالس التجارية التي رُبت في هذه المدن الإسلامية «لفصل الدعاوى والمرافعات بين الأهالي والأجانب، بقوانين في الغالب أوربية» وعقب على هذا الاختراق القانوني العلماني، قائلاً:

(١) عبد الرحمن الرفاعي [عصر إسماعيل]: ج ٢ ص ٢٤٢-٢٤٦.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤٩.

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٧ والمرجع ينقل عن كتاب [مصر وأوروبا] ج ١.

ص ١١٨، ٢٠٥. طبعة سنة ١٨٨٢م.

«.. مع أن المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أُخِلَّتْ بالحقوق، بتوفيقها على الوقت والحالة... ومن أمعن النظر فى كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية، حيث بوبوا للمعاملات الشرعية أبواباً مستوعبة للأحكام التجارية، كالشركة، والمضاربة، والقرض، والمخابرة، والعارية، والصلح، وغير ذلك... إن بحر الشريعة الغراء على تفرع مشاريعه، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقى والرى، ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية، لأنها أصل، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع»^(١).

لم تجد «صيحة التحذير» التى أطلقتها الطهطاوى، فى مواجهة الاختراق العلماني لمؤسساتنا القضائية والتشريعية.. بل جاء «عموم بلوى الاختراق» عندما احتل الإنجليز مصر [١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م].. ففي العام التالى، عمم الاحتلال القانون الأجنبى فى عموم القضاء الأهلى المصرى..

ففى ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٠ هـ، مايو سنة ١٨٨٣م صدر القانون المدني، والقانون التجاري، وقانون التجارة البحري، وقانون المرافعات- على حالها الذى كانت عليه فى المحاكم المختلطة- وصدرت قوانين العقوبات، وتحقيق الجنايات- مع بعض التعديلات.. ولم يأت

(١) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] ج ١ ص ٥٤٤، ٣٦٩، ٣٧٠. دراسة وتحقيق:

دكتور محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

١٣ نوفمبر سنة ١٨٨٣م حتى كانت القوانين قد «تعلّمت» فى القضاء الأهلى المصرى! (١)

وإذا كان الطهطاوى قد أشار إلى أن تقنين مبادئ الشريعة الإسلامية وفقه معاملاتنا «بتوفيقها على الوقت والحالة»، هو تقديم للبديل الإسلامى، فى مواجهة الاختراق التشريعى العلمانى، فإن تلميذه محمد قدرى باشا [١٢٣٧-١٣٠٦هـ - ١٨٢١-١٨٨٨م] قد اجتهد فى تقنين هذا البديل الإسلامى، فقدم لمكتبة القانون الإسلامى:

- ١- كتاب [مرشد الحيران فى معرفة أحوال الإنسان] فى المعاملات الشرعية.
- ٢- كتاب [قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف].
- ٣- كتاب [تطبيق ما وجد فى القانون المدنى موافقاً لمذهب أبى حنيفة].
- ٤- كتاب [الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية] (٢).

مبهراً بذلك على استمرار المقاومة الإسلامية لاختراق العلمانية الغربية عقلنا القانونى ومؤسسات القضاء والتشريع فى بلادنا.

وعلى هذا الدرب، الذى اختطه الطهطاوى «للإصلاح بالإسلام» ولتجديد ديننا بتجديد ديننا، سار الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

(١) الرافعى [عصر إسماعيل] ج ٢ ص ٢٤٠. [مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال] ص ٦٥ - ٦٨. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦.

(٢) الزركلى [الأعلام] طبعة بيروت. وسركيس [معجم المطبوعات العربية والمعربة] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م.

(١٢٦٦-١٣٢٣هـ-١٨٤٩-١٩٠٥م) الذي انتقد النزعة المادية للمدنية الأوربية (مدنية الذهب والفضة)^(١) . .

ولفت النظر إلى تميز الإسلام، الذي (ظهر، لا روحياً مجرداً، ولا جسدياً جامداً، بل إنسانياً وسطاً بين ذلك، آخذاً من كلا القبيلين بنصيب، فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره، وصار المدرسة الأولى التي يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية.. والذي جمع بين الدين والشرع، فلم يعرف ما يسميه الإفرنج «ثيو كرتيك» أي سلطان إلهي.... وفي ذات الوقت لم يدع ما لقيصر لقيصر، بل كان من شأنه أن يكون كمالاً للشخص وألفة في البيت، ونظاماً للملك، امتازت به الأمم التي دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه»^(٢).

ثم حكم بأن سبيل الدين لمريد الإصلاح في المسلمين سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين [أي العلمانية] هو بذر غير صالح للتربة، لا ينبت، ويضيع تعب، ويخفق سعيه.. فما لم تكن المعارف والآداب مبنية على أصول الدين فلا أثر لها في النفوس.. وإذا كان الدين كافلاً بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس

(١) [الأعمال الكاملة] ج٣- ٢٠٥. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨.

لهم في غيره. وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من أحداث ما لا إمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!...^(١).

فواصلت مدرسة الإحياء والتجديد الديني - التي قادها جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤-١٣١٤هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] - وأغنى إبداعها محمد عبده - وحملت رسالتها [المنار] للشيخ رشيد رضا [١٢٨٢-١٣٥٤هـ-١٨٦٥-١٩٣٥م]. على امتداد أربعين عاماً - واصلت رسالة المقاومة للاختراق العلمانيّ، إلى أن حملت الرايات جماعات اليقظة الإسلامية وحركاتها، تلك التي انتقلت بهذه المقاومة - بعد سقوط الخلافة [١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م] من إطار «الصفوة» إلى إطار «الجماهير».

(١) الأعمال الكاملة. ج ٣ ص ١٠٩، ٢٣١.

الأصول الإسلامية لرفض العلمانية

وإذا كان التصور الأرسطيّ لنطاق عمل الذات الإلهية- هو «الخلق» دون «الرعاية والتدبير» للعالم والطبيعة والعمران الإنساني... وهو التصور الذي لم يناقضه التصور النصرانيّ- الذي ترك ما لقيصر لقيصر، دون تدخل من الله في ما لقيصر... والذي دعمته فلسفة التشريع الرومانية - التي جعلت مقاصد التشريع تحقيق «المنافع والمصالح» الدنيوية، دونما ربط لها بالأخلاقيات الدينية أو القيم الإيمانية أو السعادة الأخروية..

إذا كانت هذه التصورات والمنطلقات في الموروث الحضاري الغربيّ قد فتحت الطريق أمام رد الفعل العلماني على استبداد الكنيسة واحتكار اللاهوت للدنيا والدولة والاجتماع والمعارف والعلوم، بحسبان العلمانية، التي تعزل السماء عن الأرض، وتحرر العمران الإنسانيّ من الضوابط الدينية، وتطلق الحرية للإنسان في سياسة المجتمع كسيد للكون. بحسبان هذه العلمانية هي الأقرب للتصور الأرسطيّ لنطاق عمل الذات الإلهية، ولدعوة النصرانية أن نترك ما لقيصر لقيصر، ولفلسفة التشريع الروماني في تحرير القانون من القيم الإيمانية والمقاصد الشرعية..

إذا كان هذا هو «حال القضية» في النموذج الحضاريّ الغربيّ.. فإن أمرها ليس كذلك في السياق الإسلامي..

فالتصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية يتعدى حدود الخلق للمخلوقات إلى حيث يكون الله، سبحانه وتعالى، أيضاً الراعى والمدبر لكل عوالم وأمم وعمران المخلوقات.

لقد سقّه القرآن الكريم تصور الوثنية الجاهلية - وهو ذاته التصور الأرسطيّ - لنطاق عمل الذات الإلهية - فهو فى التّصوُّرين مجرد خالق، بينما التدبير للدينيا والعمران موكول - فى الأرسطية - إلى الإنسان والأسباب المودعة فى الطبيعة وظواهرها - وهو فى الوثنية الجاهلية - موكول إلى الشركاء والأصنام والطواغيت . . .

سقّه القرآن الكريم هذا التصور عندما قال ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨] . . فجعل الخلق لله، والتدبير لغير الله تصور جاهلى مرفوض ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦] .

فهذه القسمة - الشبيهة بالمفهوم العلماني لشعار: «الدين لله والوطن للجميع»! - هى سوء حكم للجاهلين يسفها القرآن و يرفضها التصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية . . وفى مقابل ذلك يقدم الإسلام تصوره لنطاق عمل الذات الإلهية خالق كل شىء؛ ومدبر كل أمر؛

حتى ما هو مقدور للإنسان؛ وداخل في نطاق قدرته وإرادته وفعله هو فيه خليفة لله سبحانه وتعالى، يديره الإنسان بإرادة إلهية وتكليف شرعي كخليفة لله ملتزم بشريعته التي تمثل بنود عقد وعهد الاستخلاف، وكعبد لسيد الوجود، وليس كسيد لهذا الوجود فلله في التصور الإسلامي «الخلق والتدبير» جميعاً ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: 3].

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].
 ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩، ٥٠]. . . فليس التصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية بالذي يحدد نطاق عمل الله في الخلق وحده، محرراً الطبيعة والعالم والاجتماع والإنسان من معالم وضوابط التدبير الإلهي والرعاية الإلهية لعوالم المخلوقات. . . فكل شيء، في هذا التصور الإسلامي، هو لله، حتى ما هو للإنسان فهو له بحكم الاستخلاف والوكالة والنيابة لله ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٦) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وكفى بهذه الآية وحدها معبرة عن إيمان المسلم بالحضور والتدبير الإلهي في كل شيء. . . حتى لتبلغ الحرية الإنسانية ذروتها إذا بلغ المؤمن ذروة العبودية لله! . . .

لقد استأثر، سبحانه، بالخلق والأمر - أى بالإيجاد والتدبير جميعاً. . .

واستخلفنا فى استعمار الأرض، فجعل لنا الشورى فى الأمر والتدبير لل عمران، والإرادة والقدرة والاستطاعة لإقامة الدين وصناعة العمران وصياغة الحياة وتحديد مسارات التواريخ، كخلفاء لله ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] . . ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ لَوِ رُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يُسْتَبْطِنُونَ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

هكذا يقطع التصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية الطريق على العلمانية، فمحال أن يجتمع ويتوافق فى قلب المسلم تصور الله مدبراً لكل شىء وراعياً لكل أمر، مع تصور عزل السماء عن الأرض وتحرير العمران الإنسانى من ضوابط وحدود تدبير الله . . .

وكما تميز ميراثنا الحضارى عن الميراث الحضارى الغربى، فى تصور نطاق عمل الذات الإلهية، ومن ثم فى مكانة الإنسان فى هذا الوجود. . . كذلك تميزت فلسفة التشريع فى النسق القانونى الإسلامى - سواء فى مبادئ الشريعة الإسلامية وقواعدها ومقاصدها- والتي هى «وضع آلهي»- أو فى فقه معاملاتها- الذى هو إبداع فقهاء المسلمين

المحكوم بمبادئ الشريعة الإسلامية وقواعدها وحدودها ومقاصدها... . تميزت فلسفة الإسلام في التشريع عندما ربطت «المنفعة» بـ«الأخلاق» و«المصلحة» بـ«المقاصد الشرعية» و«سعادة الدنيا» بـ«النجاة يوم الدين»... . فأغلقت هذه الفلسفة التشريعية الإسلامية الطريق أمام القانون الوضعي- العلماني- مانعة إمكان تعايشه مع النسق التشريعي الذي يحكم سلطات الأمة في التقنين بسيادة حاكمية الوضع الإلهي لحدود الشريعة ومبادئها وقواعدها ومقاصدها... «المصلحة» التي يتغياها القانون الإسلامي هي «المصلحة الشرعية المعتبرة» وليست مطلق «المصلحة»... و«المنفعة» التي يريد الفقه الإسلامي جلبها ليست اللذة أو الشهوة أو مطلق المنفعة، بالمعايير الدنيوية الخالصة للدنيا، ذلك لأن المسلم لا يمحض ربه «صلاته» و«نسكه» فقط، وإنما يمحضه مع الصلاة والنسك، جماع المحيا والممات ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وهذه الحقيقة من حقائق تميز فلسفة التشريع والتقنين الإسلامية عن نظيرتها الرومانية والغربية، هي مما أجمع عليه أهل العلم، مسلمين وغير مسلمين... . ويكفي أن نشير إلى شهادة مستشرق حجة في القانون الغربي العلماني وفي الفقه الإسلامي، هو (دافيد دي سانتيلانا) David de Sautillana [١٨٤٥-١٩٣١] فهو يقول عن فلسفة التشريع في القانون الوضعي الغربي: «إن معنى الفقه والقانون بالنسبة إلينا وإلى الأسلاف:

مجموعة من القواعد السائدة التي أقرها الشعب، إما رأساً أو عن طريق ممثليه. وسلطانه مستمد من الإرادة والادراك وأخلاق البشر وعاداتهم». فهو قانون «دنيوي» - أي «علماني» خالص للدنيوية..

ويستطرد «سانتيلانا» مقارناً هذه الفلسفة العلمانية بالفلسفة الإسلامية في التشريع، فيقول: «... إلا أن التفسير الإسلامي للقانون هو خلاف ذلك.. فالخضوع للقانون الإسلامي هو واجب اجتماعي وفرض ديني في الوقت نفسه، ومن ينتهك حرمة لا يأتّم تجاه النظام الاجتماعي فقط، بل يقترب خطيئة دينية أيضاً. فالنظام القضائي والدين، والقانون والأخلاق، هما شكلان لا ثالث لهما لتلك الإِراة التي يستمد منها المجتمع الإسلامي وجوده وتعاليمه، فكل مسألة قانونية إنما هي مسألة ضمير.. والصبغة الأخلاقية تسود القانون لتوحد بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية توحيداً تاماً... والأخلاق والآداب، في كل مسألة، ترسم حدود القانون... فالشريعة الإسلامية شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلاً»^(١).

وذاً الحقيقة يؤكد عليها المستشرق السويسري «مارسيل بوازار»، الذي ينبه على تميز القانون الإسلامي عن القانون الوضعي العلماني في المصدر... وفي المقاصد... فيقول: «ومن المفيد أن نذكر فرقاً جوهرياً بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوربي الحديث، سواء في

(١) سانتيلانا [القانون والمجتمع] بحث في كتاب [تراث الإسلام] ص ٤١١، ٤٣٨، ٤٣١. ترجمة جرجيس فتح الله. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢.

مصدريهما المتخالفين أو في أهدافهما النهائية. . فمصدر القانون في الديمقراطية الغربية هو: إرادة الشعب، وهدفه: النظام والعدل داخل المجتمع، أما الإسلام. فالقانون صادر عن الله، وبناء عليه يصير الهدف الأساسي الذي ينشده المؤمن هو البحث عن التقرب إلى الله، باحترام الوحي والتقيد به. . فالسلطة في الإسلام تفرض عددًا من المعايير الأخلاقية . . . بينما تسمح في الطابع الغربي أن يختار الناس المعايير حسب الاحتياجات والرغبات السائدة في عصرهم. . . .»^(١).

وهكذا تحول الفلسفة المتميزة للتشريع الإسلامي بين المسلم وبين قبول القانون الوضعي العلماني- كما يحول التصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية، ولكانة الإنسان في الكون، بين المسلم وبين قبول العلمانية جملة وتفصيلاً. . . .

ولأن هذه هي حقيقة تميز النسق الفكري الإسلامي- المنطلق من البلاغ القرآني ومن البيان النبوي لهذا البلاغ- كانت جذور المقاومة الإسلامية لانفلات «الدولة» من «الدين» ولتحرر «المجتمع» من «الشريعة» أبعد في تراثنا الإسلامي من المواجهة مع العلمانية الغربية الوافدة إلينا في ركاب الغزوة الاستعمارية الحديثة. .

(١) لواء أحمد عبد الوهاب [الإسلام في الفكر الغربي] نصوص ص ٨١-٨٣. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

فالتعاقد الدستوريّ، الذي تقوم به «الدولة»، ليس مجرد تراض بين «المحكومين» و«الحاكمين»- كما هو حاله في الفكر السياسيّ - الوضعيّ- وإنما لا بدّ في هذا التعاقد الدستوريّ، كى يكون إسلامياً، من أن تكون المرجعية فيه دينية- لله والرسول- أى للوحي الإلهيّ والسنة النبوية.. . فإسلامية الدولة، وإسلامية التعاقد الدستوريّ الذي تتأسس عليه، مبدأ شرعيّ، ووضع إلهيّ ثابت.. . تحدث عنه القرآن الكريم في آيات سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿

[النساء ٥٨ : ٦٠].

- ١- فعلى ولاة الأمر أداء الأمانات لأهلها والحكم بالعدل بين الناس.. .
- ٢- ولقاء ذلك لهم طاعة المؤمنين.. .
- ٢- وطاعة المحكومين لأولى الأمر تالية لطاعة الجميع لله وللرسول، أى للكتاب والسنة.. .

٤- وشرط تحقق واكتمال الإيمان الديني، بالله واليوم والآخر، أن تكون مرجعية هذا التعاقد الدستوري هي الكتاب والسنة. . وإلا كان هذا الإيمان زعمًا وادعاء؛ لأنه إن لم تكن المرجعية في الدولة لله والرسول، فهي للطاغوت! .

هكذا حسم القرآن المرجعية الإسلامية للدولة الإسلامية.

ولقد صاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ القرآني - للمرجعية الدينية في التعاقد الدستوري على إقامة الدولة - صاغه «مادة» في أول دستور لأول دولة إسلامية - في «الصحيفة» التي مثلت دستور دولة المدينة - نصت على: « . . وما كان بين أهل هذه الصحيفة من اشتجار يُخشى فساد، فمرده إلى الله وإلى محمد . . . »^(١).

وأكد ذلك الخليفة الأول أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، في أول خطاب له عقب اختياره والبيعة له بالخلافة، فقال: (أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم...) فبلغ الربط بين إسلامية الدولة - يجعل المرجعية الدينية شرط قيام واستمرار التعاقد الدستوري على إقامتها - في التجربة التاريخية - التي يقيس عليها المسلمون - بلغ هذا الربط في الحسم والوضوح هذا الحد الذي ميز دولة الإسلام عن كثير من الدول التي عرفتها كثير من الأنساق الفكرية الأخرى.

(١) دكتور [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] ص ٢٠. جمعها وحققتها: دكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦.

لقد عرف التاريخ الإنساني:

- ١- دول الاستبداد، التي تحكم بالهوى والشهوة والقوة.
 - ٢- ودول الكهانة الدينية، والعصمة المقدسة، والحكم بالحق الإلهي وفيها زعم الحكام النيابة عن السماء، مسقطين الأمة من الحسبان . .
 - ٣- ودول السياسة العقلانية - ومنها الدول العلمانية - التي يدبر حكامها مجتمعاتها بسياسة العقل والمصلحة المتحررة من المرجعية الدينية . . .
وديمقراطيات هذا النمط من الدولة، ينوب فيها الحكام عن الأمة، مسقطين الدين والشريعة الإلهية من مرجعية السياسة والتدبير . .
 - ٤- أما الدولة الإسلامية، فإنها نمط متميز وفريد . . فهي إسلامية المرجعية، ومدنية النظم، التي تقاس إسلاميتها بمدى تحقيقها للمبادئ والمقاصد الشرعية . . وفيها تجتمع المرجعية الدينية - سيادة الشريعة - وسلطة الأمة - المستخلفة لله - ونياية الدولة عن الأمة . .
وبذلك تبرأ من سلبات دول الكهانة الدينية والدول العلمانية جميعاً.
- وكما استقر هذا التميز للدولة الإسلامية في أصول ديننا، وفي دولة النبوة والخلافة الراشدة . . فلقد استقر كذلك في الفكر الإسلامي، السابق على ظهور العلمانية الغربية، وعلى عصر اختراقها لعالمنا الإسلامي، وعلى تصدي فكرنا الإسلامي الحديث لهذا الاختراق.

ورحم الله ابن خلدون [٧٣٢-٨٠٨هـ-١٣٢٢-١٤٠٦م].

فيلسوف العمران الإسلامي والإنساني - الذي صاغ كل ذلك، في دقة ووضوح، وهو يتحدث عن أنواع الحكم وفلسفات الدول، فقال:

«... ولما كانت حقيقة الملك: أنه الاجتماع الضروري للبشر... وجب أن يرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها.

فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسية عقلية.

وإذا كانت مفروضة من الله، بشارع يقررها ويشرعها، كانت سياسة دينية نافعة في الحياة وفي الآخرة. وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط... فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضى بهم إلى السعادة في آخرتهم... فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة، حتى في الملُك، الذى هو طبعى للاجتماع الإنساني، فأجرتة على منهاج الدين ليكون الكل محوطاً بنظر الشارع. فما كان من الملُك بمقتضى القهر والتغلب، فجور وعدوان ومذموم عند الشرع، كما هو مقتضى الحكمة السياسية. وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضاً، لأنه نظر بغير نور الله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]،

لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم. وأعمال البشر كلها عائدة عليهم فى معادهم، من ملك أو غيره... وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧]. ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم، فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية

فى أحوال دنياهم وأخرتهم، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم، وهم الخلفاء.

فقد تبين لك من ذلك .. أن:

- ١- المُلْك الطبيعيّ: هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة.
- ٢- والسياسيّ: هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقليّ فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار.

٣- والخلافة: هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعيّ فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهى، فى الحقيقة: خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به...»^(١).

فالدولة العَلَمانية هى التى تسوس المجتمع «بمقتضى السياسة العقلية» التى تتغيا «تحقيق المصالح الدنيوية وحدها».

بينما الدولة الإسلامية، هى التى تنطلق من الشرع، لتتغيا صلاح الدنيا والآخرة جميعًا.. فالأولى تنظر بنظر «العقل المجرد عن الشرع» .. بينما الثانية -الإسلامية- تنظر «بالعقل فى الشرع» ..

وكما يقول الإمام الغزاليّ [٤٥٠-٥٠٥هـ-١٠٥٨-١١١١م] «فإن العقل مع الشرع نور على نور»^(٢)!

(١) [المقدمة] ص ١٥٠-١٥١. طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

(٢) [الاقتصاد فى الاعتقاد] ص ٣ طبعة القاهرة. -محمود علي صبيح- بدون تاريخ.

تلك هي «العلمانية» التوجه . . والنشأة . . والملابسات . . وهكذا كان وفودها إلى عالم الإسلام، في ركاب الغزوة الاستعمارية الحديثة . . واختراقها لمؤسسات القضاء والتشريع في بلادنا . .

وهذا هو موقف الإسلام والفكر الإسلامي منها، سواء في اجتهادات تيار الإحياء والتجديد الحديث . . أو في الأصول والمنطلقات الإسلامية . . أو في إبداع فكرنا الإسلامي الوسيط . .

المتغريون .. العُلمانيون

أما الذين انبهروا - من مثقفينا المحدثين - بالعلمانية الغربية وفتبنوها ودعوا إلى سلوك طريقها في نهضتنا، كما حدث للغربيين في نهضتهم . . وقالوا عن علاقة الدين بتدبير الدولة والمجتمع والعمران: «يا بُعد ما بين السياسة والدين...»^(١).

و«إن السياسة شيء والدين شيء آخر.. وإن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الأوطان»^(٢).

فلقد كانوا هم الذين نظروا إلى إسلامنا بمنظار نصرانيّ -فسووا- في علاقة الدين بالدولة والسياسة- بين الإسلام والنصرانية . . كما نظروا إلى تراثنا وحضارتنا، وإلى «العقل الشرقيّ والمسلم» الذي أبدع هذا التراث وصنع الحضارة، بمنظار غربيّ . . فرأوا الخلافة الإسلامية «كهانة مستبدة تحكم بالحق الإلهيّ المقدس»، ورأوا في العقل المسام عقلاً يونانيّاً، منذ القدم، وبعد التدين بالإسلام، لأن القرآن -عندهم- كالإنجيل . . والإسلام -عندهم- كالنصرانية . . ومحمد صلى الله عليه وسلم عندهم -كان كالمخالفين من الرسل، لا شأن له بسياسة الدولة أو تدبير الاجتماع أو بناء العمران؟!«

(١) علي عبد الرازق [الإسلام وأصول الحكم] ص ٦٩ . طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥م .
(٢) دكتور طه حسين [مستقبل الثقافة في مصر] ج ١ ص ١٦ ، ١٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م .

لقد «ضُربت» عقولهم في «مصانع الفكر الغربي»، فقالوا: إن العقل الشرقي هو - كالعقل الأوربي - مرده إلى عناصر ثلاثة:

«حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن.

وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه.

والمسيحية وما فيها من دعوى إلى الخير وحث على الإحسان».

وكما لم يغير الإنجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوربي. فكذلك القرآن، لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقي؛ لأن القرآن إنما جاء متمماً ومصداقاً لما في الإنجيل^(١).. وإن الحضارة العربية والحضارة الفرنسية يقومان على أساس واحد، هو في نهاية الأمر الحضارة اليونانية اللاتينية^(٢)؟!.

لقد شوهدت المناهج الغربية رؤاهم وزيفت وعيهم، فأرأوا إسلامنا نصرانية.. وخلافتنا كهانة.. وقرآنا إنجيلاً.. وشريعتنا قانوناً رومانياً.. ومن ثم رأوا «الحل العلماني» هو طريقنا إلى النهوض، كما كان حاله في سياق النهضة الأوربية الحديثة.

وإذا كان هذا «التغرب» أمراً قابلاً «للتفسير»، دون «التبرير».. فإن الأمر السذبي يبلغ في الغرابة حد «الكارثة» هو الموقع الذي قادت إليه

(١) دكتور طه حسين [مستقبل الثقافة في مصر] ج ١ ص ٢٩، ٢١، ٢٢.

(٢) دكتور طه حسين [من الشاطئ الآخر] نصوصه الفرنسية التي جمعت وترجمت بعد وفاته - جمعها وترجمها: عبد الرشيد الصادق المحمودي ص ١٩١، ١٩٢. طبعة بيروت سنة ١٩٩٠.

العلمانية بعضاً من مثقفينا الذين تمذهبوا بمذهبها.. موقع التبعية للحضارة الغربية الغازية، والولاء للمركزية الغربية العنصرية.. بل وإعلان التسليم والاستسلام لإرادة الغرب فى استلابنا واحتوائنا وإلحاقنا بنموذجه الحضاريّ «فى الإدارة.. والحكم.. والتشريع».. وإلا فماذا تعنيه كلمات الدكتور طه حسين [١٣٠٦-١٣٩٣هـ (١٨٨٩-١٩٧٣م): (لقد التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها فى الحكم ونسير سيرتها فى الإدارة، ونسلك طريقها فى التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوروبا. وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال [سنة ١٩٣٦م] ومعاهدة إلغاء الامتيازات [سنة ١٩٣٨م] إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين فى الحكم والإدارة والتشريع؟»^(١).

إن هذا (الاعتراف) العلمانيّ (بالالتزام) بما ألزمتنا به الغرب، من أن «نسير سيرة الأوربيين فى الحكم والإدارة والتشريع».. ينقل قضية تبنى العلمانية فى بلادنا إلى مستوى آخر.. فالقضية تتجاوز أحياناً دائرة الاختلاف فى الفكر، لتصب -بوعى أو بغير وعى- فى خانة التفريط فى الاستقلال؟! .. وإذا كان الدكتور طه حسين قد تجاوز هذا الانبهار بالغرب، والتزام بما سعت أوروبا إلى إلزامنا به^(٢)..

(١) [مستقبل الثقافة فى مصر] ج ١ ص ٣٦، ٣٧.

(٢) انظر كتابنا [الإسلام والسياسة] ص ١١٨-١٣١. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

فإن كلماته هذه تذكرنا بكلمات موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغانى، التى قال فيها: «لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها.. وطلّاع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهّدون لهم السبيل، ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم^(١)»! فإسلامية الدولة.. وإسلامية القانون، فضلا عن أنهما من فرائض الإسلام، فإنهما من معالم الاستقلال الحضاريّ للأمة الإسلامية ولديار الإسلام.

(١) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى] ص ١٩٦، ١٩٧. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

[٢]

علمانية المدفِع والإنجيل

obeikandi.com

كأس العلمانية المسموم!

كانت العلمانية الغربية، التي عزلت السماء عن الأرض، وأحلت «العقل والعلم والفلسفة» - أي منظومة التنوير الغربي - محلَّ «الله والكنيسة واللاهوت»، وجعلت من الحداثة «دينًا طبيعيًا» أحلته محل «الدين الإلهي» . .

كانت - هذه العلمانية - بمثابة «الكأس المسموم» الذي تجرّعته المسيحية الغربية، فترنحت، وأصابها الإعياء والعجز والتهميش . . وبشهادة أحد الخبراء الألمان، عالم الاجتماع والقس (جوتفرايد كونزلن): «فلقد مثلت العلمانية: تراجع السلطة المسيحية - وضياح أهميتها الدينية.. وتحول معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية.. والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية.. وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة، وسياسة بلا دين.. لقد نبعت العلمانية من التنوير الغربي.. وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين، وانتصاره عليه، باعتباره مجرد أثر لحقبة من حقبة التاريخ البشري، يتلاشى باطراد في مسار التطور الإنساني.. ومن نتائج العلمانية: فقدان المسيحية لأهميتها فقدانًا كاملاً.. وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم.. بل وزوال أهميته أيضًا كقوة موجّهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس، وللحياة بشكل عام.. فسلطة الدولة، وليست الحقيقة، هي التي تصنع القانون.. وهي التي تمنح الحرية الدينية.

ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها دينًا حلّ محلّ الدين المسيحيّ،
بفهم الوجود بقوى دنيوية، هي العقل والعلم... لكن .. وبعد تلاشي
المسيحية.. سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة على أسئلة الإنسان، التي
كان الدين يقدّم لها الإجابات.. فالقناعات العقلية أصبحت مفتقرة إلى
اليقين.. وغدت الحداثة العلمانية غير واثقة من نفسها، بل وتفكك أنساقها
العقلية والعلمية عدمية ما بعد الحداثة..

فدخلت الثقافة العلمانية في أزمة بعد أن أدخلت الدين المسيحي في
أزمة.. فالإنهاك الذي أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر
العلماني الحديث.. وتحققت نبوءة «نيتشة» [١٨٤٤-١٩٠٠م] عن «إفراز
التطور الثقافي الغربي لأناس يفقدون نجمهم الذي فوقهم، ويحيون حياة
تافهة، ذات بعد واحد، لا يعرف الواحد منهم شيئًا خارج نطاقه»..

وبعبارة «ماكس فيبر» [١٨٦٤-١٩٢٠م]: «لقد أصبح هناك أخصائيون
لا روح لهم، وعلماء لا قلوب لهم».

ولأن الاهتمام الإنسانيّ بالدين لم يتلاش، بل تزايد.. وفي ظلّ انحسار
المسيحية، انفتح باب أوروبا لضروب من الروحانيات وخليط من العقائد
الدينية لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالكنيسة «من التنجيم.. إلى عبادة القوى
الخفية.. والخرافة.. والاعتقاد بالأشباح.. وطقوس الهنود الحمر..
وروحانيات الديانات الآسيوية.. والإسلام الذي أخذ يحقق نجاحًا متزايدًا
في المجتمعات الغربية..

لقد أزلت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوروبا.. ثم عجزت عن تحقيق سيادة دينها العلمانيّ على الإنسان الأوربيّ، عندما أصبح معبدها العلميّ عتيقاً!.. ففقد الناس «النجم» الذي كانوا به يهتدون: وعد الخلاص المسيحيّ.. ثم وعد الخلاص العلمانيّ..!«^(١).

تلك شهادة خبير غربيّ -في الدين والاجتماع معاً- على تجرّع المسيحية الغربية لكأس العلمانية المسموم، الذي أصابها بالهزال والإعياء والتهميش.. فكان الفراغ الروحيّ الذي سقطت فيه الشعوب الأوربية.. وخاصة بعد إفلاس الحداثة ودينها الطبيعيّ.

(١) جوتفرايد كونزلين: [مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا] ص ١٧، ١٨. تقديم وتعليق: دكتور محمد عمارة. طبعة نهضة مصر-القاهرة سنة ١٩٩٩م.

حقائق وأرقام على أرض الواقع

وعلى أرض الواقع، وبالحقائق والأرقام؛

- فإن الذين يؤمنون - في أوروبا- بوجود إله- مجرد وجود إله- لا يتعدون ١٤٪ من الأوروبيين! .

- والذين يواظبون على حضور القداس بالكنيسة - مرة في الأسبوع في فرنسا- بنت الكاثوليكية وأكبر بلادها- أقل من ٥٪ من السكان- أى أقل من ثلاثة ملايين فرنسي- أى أقل من نصف عدد المسلمين في فرنسا! .

- وفي ألمانيا، توقّف القدّاس في ١٠٠ كنيسة من أصل ٣٥٠ كنيسة في أبرشية (أيسن) بسبب قلة الزوار، الأمر الذى زاد من عدد الكنائس المعروضة للبيع، والتحول إلى أغراض أخرى -من مثل: المطاعم والملاهى . . . وحتى المساجد- . . . بينما ارتفع عدد المساجد- في ألمانيا- من ١٤١ إلى ١٨٧ فى عامى سنة ٢٠٠٥ م وسنة ٢٠٠٦ وحدهما! وبلغت نسبة المواليد المسلمين ١٠٪ من جملة المواليد فى السنوات العشر الأخيرة! . . .

- وفى إنجلترا، صنفت أكثر من ١,٦٠٠ كنيسة -أى ١٠٪ من الكنائس الإنجليزية- رسمياً باعتبارها زائدة عن الحاجة، ومعرضة للبيع . . . فى الوقت الذى يتحدثون فيه عن أن عدد المسلمين الإنجليز الملتزمين دينياً سيتفوق -فى العقود القادمة- على نظرائهم الإنجليكانيين! . . .

ومع أن نسبة المسلمين في إنجلترا هي ٣٪ من السكان، فإن المواليدين الذين أطلق عليهم اسم «محمد» سنة ٢٠٠٦م- يأتون في المرتبة الثانية بعد اسم «جاك»!^(١).

- وفي إيطاليا، غنّت «مادونا» في إحدى الكنائس التاريخية، بعد تحويلها إلى مطعم وملهى، وبعد تحويل «المذبح» إلى فرن للبيتزا!.

- وفي جمهورية التشيك لا يذهب للقداس سوى ٣٪ من السكان.. وتباع الكنائس التاريخية، لتتحول إلى مطاعم وملاهي.. ومعروض للبيع منها ١٠,٠٠٠ كنيسة، أى نصف عدد الكنائس في جمهورية التشيك!.

- وفي سنة ٢٠٠٧ أسلم ١١٤,٠٠٠ فى فرنسا وهولندا وألمانيا والجزء الشمالي من بلجيكا والنمسا^(٢).

وهذا الواقع البائس الذى صنعته العلمانية بالمسيحية الأوروبية هو الذى جعل بابا الفاتيكان «بنديكتوس السادس عشر» يعلن فى كتابه: «بلا جذور، الغرب، النسبية، المسيحية والإسلام» سنة ٢٠٠٦م عن مخاوفه الثلاثة:

(١) صحيفة [الحياة] لندن - في ٨-٥-٢٠٠٧. و[نيوز ويك] الأمريكية في ٢٧-٢-٢٠٠٧. ومجلة [فوكس] الألمانية- نقلًا عن صحيفة [المدينة] السعودية، ملحق [الرسالة] في ٢١-٩-٢٠٠٧م.

(٢) صحيفة [أويست فرانس] الفرنسية، نقلًا عن صحيفة [الدعوة الإسلامية]- اللبية في ٨-٨-٢٠٠٧م.

١- انقراض الأوربيين المسيحيين - وخاصة الألمان والإيطاليين والأسبان - بسبب تحلل الأسرة، وعدم الإنجاب، وزيادة نسبة الوفيات عن نسبة المواليد..

٢- وحلول الهجرات المسلمة- العربية والإفريقية- محل المسيحيين الأوربيين المنقرضين!.

٣- وأن تصبح أوروبا «جزءاً من دار الإسلام» فى القرن الواحد والعشرين!^(١).

(١) جوزيف راتزنجير [بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر] - ومارسيلو بيررا: [بلا جذور، الغرب، النسبية، المسيحية والإسلام] طبعة نيويورك سنة ٢٠٠٦ م. وانظر في ذلك - أيضاً- صحيفة [الشرق الأوسط] -لندن، ملحق «منتدي الكتب» في ٢٦-٤-٢٠٠٦ م. ودكتور محمد عمارة [الفاتيكان والإسلام] طبعة مكتبة الشروق الدولية -القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.

الروح الصليبية حية ومتوقدة فى مواجهة الإسلام

هكذا صنعت العلمانية بالمسيحية فى أوروبا . .

لكن مؤسسات الهيمنة الاستعمارية الغربية، التى طاردت الدين واللاهوت فى بلادها، وهمشت دور الكنيسة فى مجتمعاتها، قد ظلت وفية للروح الصليبية فى مواجهتها مع الإسلام والمسلمين . . . واستمرت فى استخدام الدين والكنيسة والتنصير سلاحاً فى الزحف الإمبريالي على عالم الإسلام! . .

فسلطاتها الاستعمارية تعمل على علمنة المسلمين، لكسر شوكة المقاومة الإسلامية للاستعمار الغربى، بتحويل الإسلام إلى روحانية فردية معزولة عن السياسة والاجتماع، مع فتح الأبواب والميادين للكنائس الغربية لتنصير المسلمين، وذلك لإتمام عملية التغريب والتبعية والإلحاق . . كى يتأبد النهب الاقتصادى والمسخ الحضارى- اللذين هما الهدف الأول للاستعمار . . .

فبعد ما يقرب من أربعين عاماً على انتصار الثورة الفرنسية -ذات التوجه العلمانى المتوحش- والتى همشت النصرانية وكنيستها- نجد الروح الصليبية حية ومتوقدة وحاقدة فى مواجهة الإسلام وأمتة وحضارته، عند احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠م.

ويحكي رفاة الطهطاوي [١٢١٦-١٢٩٠هـ-١٨٠١-١٨٧٣م] وكان شاهد عيان يومئذ بباريس - كيف «أن المطران الفرنسي الكبير» لما سمع بأخذ الجزائر [أى احتلالها سنة ١٨٣٠م]- ودخل الملك «شارل العاشر» [١٧٥٧-١٨٣٦م] الكنيسة يشكر الله على ذلك [!!] جاء إليه المطران ليهمنه على هذه النصر، ومن جملة كلامه- ما معناه: إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصره عظمة على الملة الإسلامية، وما زالت كذلك»^(١).

فالروح الصليبية حاضرة وحاكمة فى مواجهة الإسلام وأمه وعالمه وهى توحد «الدولة» و«الكنيسة»، فى ظل العلمانية، كما كان الحال فى العصور الأوربية الوسطى، عندما تكون المواجهة مع الإسلام! وبعد قرن من الزمان على احتلال فرنسا للجزائر.. احتفلت فرنسا العلمانية بمرور قرن على احتلالها لهذا البلد المسلم سنة ١٩٣٠م. ويومئذ لم تنس فرنسا الروح الصليبية المعادية للجزائر المسلمة، والحاكمة على إسلام الجزائريين.. فخطب أحد كبار الساسة الفرنسيين فى مهرجانات هذه الاحتفالات، فقال:

«إننا لن نتنصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربية من ألسنتهم»!.

وخطب سياسيٌّ آخر، فقال: «لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة فى هذا الوطن، فلقد قام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون، ومع

(١) رفاة الطهطاوي [الأعمال الكاملة] ج٢ ص ٢٢٠. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة: طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

ذلك خرجوا منه. ألا فلتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار»!!

كما خطب أحد كرادلة الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية - بهذه المهرجانات- فقال: «إن عهد الهلال في الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد.. وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهذاً لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل»^(١).

ولقد فطن المسلمون الجزائريون- في تجربتهم مع الاستعمار الفرنسي - إلى «أن موقف البورجوازية الفرنسية هذا هو مدعاة للعجب، فإن هذه البورجوازية نفذت حكم الإعدام في القسس، وأحرقت الكنائس، وحاولت محو الدين المسيحي في فرنسا المسيحية.. أما في الجزائر، فقد اتخذت مسلكاً مخالفاً، فحولت المساجد إلى كنائس ومجّدت المسيحية، واستخدمت أموال المسلمين لتنصيرهم! وهكذا أحييت الروح الصليبية عندما رفعت علم المسيحية ضد الإسلام في الوقت الذي ظلت تسخر فيه من المسيحية والإسلام في آن واحد...»^(٢).

فالعلمانية الأوربية تطارد المسيحية في بلادها.. لكنها تستخدمها في مطاردة الإسلام إبان الزحف الإمبريالي على بلاد المسلمين!

(١) انظر دراستنا عن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي- بكتابتنا [من أعلام الإحياء الإسلامي] ص ١٢٤، ١٢٥) طبعة مكتبة الشروق الدولية- القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

(٢) دكتور محمود قاسم [الإمام عبد الحميد بن باديس] ص ١٠ طبعة دار المعافى القاهرة- ودكتور محمد عمارة [مسلمون نوار] ص ٤٧٠ طبعة دار الشروق- القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

صور من التحالف بين المدفع العلماني وانجيل المنصرين

- ولقد ظل هذا حال الاستعمار الغربي دائماً وأبداً. . ففي مجتمعاته الأوربية يتبنى العلمانية التي تهتمش المسيحية. . لكنه في المستعمرات المسلمة يستخدم النصرانية الصليبية وكنائسها لإقامة القواعد الدينية- إلى جوار القواعد العسكرية -ولتنصير المسلمين، دعمًا للاحتلال، ولتأييد النهب والتبعية والإحاق. .

صنع ذلك بواسطة إرساليات التبشير النصراني ومدارسها وجامعاتها ومؤسساتها الثقافية ومنابرها الإعلامية -في المشرق العربي- تلك التي أعلن القناصل الفرنسيون أن الهدف منها هو «تكوين جيش متفان في خدمة فرنسا في كل وقت. . وجعل البربرية العربية -[كذا]- تنحني لا إراديا أمام الحضارة المسيحية لأوربا^(١)».

-وعندما عقدت الكنائس الأمريكية مؤتمرها التنصيريّ الشهير -مؤتمر كولو رادو- في مايو سنة ١٩٧٨م- أعلنت فيه الحرب الصليبية الجديدة على الإسلام، فقالت- في وثائق هذا المؤتمر-:

«إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية. . والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً

(١) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية -سنوات. ١٨٤٠-١٨٤٢-١٨٤٨-١٨٩٧-١٨٩٨- انظر كتابنا [هل الإسلام هو الحل؟] ص ٢٢ طبعة دار الشروق القاهرة. سنة ٢٠٠٧م.

وسياسياً.. ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، لفهم الإسلام، ولاخترافه في صدق ودهاء[!..]. ولذلك، لا يوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولوية من موضوع تنصير المسلمين..

ولذلك، فعلى مديري إرساليات أمريكا الشمالية والقادة المنصّرين الآخرين أن يكتشفوا ويوظفوا أساليب جديدة للتعاون والمشاركة مع كنائس العالم الثالث وعملها المنظم للوصول إلى المسلمين. لقد وطننا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي.. إن نصارى البروتستانت في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا- منهمكون بصورة عميقة في عملية تنصير المسلمين.. ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها، وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم.. وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معاً، بروح تامة، من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين.. إذ يجب أن يتم كسب المسلمين عن طريق منصرين مقبولين من داخل مجتمعاتهم.. ويفضل النصارى العرب في عملية التنصير.. إن تنصير هذه البلاد سيتم من خلال النصارى المتمين إلى الكنائس المحلية، ويتم ذلك بعد تكوين جالية محلية نصرانية قوية...»^(١).

(١) [التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي] الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو- ص ٤٥٢، ٢٢، ٢٣، ٧٨٩، ٧٩٠، ٥٣، ٥٦، ٤، ٥، ٦٢٧، ٦٣٠، ٣٨٣، ٨٤٥. طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي- مالطا سنة ١٩٩١م. وطبعة مكتبة وهبة القاهرة ٢٠١٠م.

- وفى سبيل اختراق العالم الإسلامى، لتنفيذ هذا المخطط لتنصير المسلمين، نظّرت هذه الكنائس وقعدت «الميكافيلية- الصليبية»، عندما أعلنت عن «صنع الكوارث» لاستخدام المعونات والمساعدات لتنصير الفقراء والمحتاجين المسلمين!!

فالاستعمار الغربى - وحكوماته العلمانية- ينهب ثروات المسلمين، ويحوّل جماهيرهم إلى فقراء ومعدمين . . وكنائس الدول الاستعمارية- تحت حماية المدافع الاستعمارية- تستخدم كسرة الخبز وجرعة الدواء لتحويل هؤلاء الفقراء المعدمين عن دين الإسلام إلى النصرانية الغربية». .
وهكذا تمّ ويتمُّ التحالف -غير المقدس- بين «المدفع العلمانى» و«إنجيل المنصرين»! . .

نعم . . نظّرت وقعدت هذه الكنائس لهذه «الميكافيلية -الصليبية» فقالت -فى وثائق مؤتمر «كولورادوا»:

«لكى يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلا بدّ من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس -أفراداً وجماعات- خارج حالة التوازن التى اعتادوها! . . وقد تأتى هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعى المتدنّى..

وفى غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية! ولذلك، فإن تقديم العون لذوى الحاجة قد أصبح أمراً مهماً فى

عملية التنصير!!... وإن إحدى معجزات عصرنا، أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري، فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى!!^(١)

«المدفع» العلماني الاستعماري الغربي يجتاح مواطن الثروات في عالم الإسلام، لنهاها.. وفي سيل ذلك يصنع الكوارث التي تطحن الشعوب الإسلامية.. ثم يفتح الأبواب - تحت قهر المدافع - لإرساليات التنصير كي تقدمّ العون والمساعدة باسم يسوع المسيح، كي يبيع الفقراء والمعدمون إسلامهم لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء!!.

● ولقد وضع هذا المخطط.. وهذه «الميكافيلية- الصليبية» في الممارسة والتطبيق.

● فهذه الكنائس الأمريكية، التي تتحكم في القوة الأمريكية الفرعونية والقارونية -بواسطة «التحالف المسيحي» و«اليمن الديني» و«المحافظين الجدد» قد نصّرت ربع سكان كوريا الجنوبية.. أى أقامت في تلك البلاد «قاعدة دينية نصرانية» إلى جوار «القواعد العسكرية الأمريكية» التي أقامتها فيها منذ سنة ١٩٤٥م.

وجعلت من هذه «القاعدة النصرانية». وهى «كنيسة صايمل»، التابعة لليمين الديني الأمريكي- رأس حربة في تنصير العالم، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص.. حتى أن عدد المنصرين الكوريين قد

(١) [التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى] الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو:
ص ٤٢٤، ٨٢٦، ٨٢٧، ٤٦٩، ٣٦٤، ١٤٧.

بلغ الرقم التالي للمنصرين الأمريكيان على النطاق العالمي!!.. وبقيادة الأمبريالية الأمريكية- المفترض أنها علمانية- تزامن عمَلُ المنصرين الكوريين والجنود الكوريين مع عمَلِ المنصرين الأمريكيين والجنود الأمريكيين حيثما وجد الغزو الأمريكى لبلاد المسلمين.. من العراق إلى أفغانستان.. وحتى فى مناطق النفوذ والهيمنة الأمريكية.

ولإيضاح هذه الحقيقة- التى يجهلها أو يتجاهلها الكثيرون- فإن هذا الفرع الكورى للكنائس الأمريكية -كنيسة صايمل Church Saemml - لم تقف عند التنصير للكوريين وتحويلهم عن ديانتهم البوذية والكونفوشية فحسب.. وإنما اشتغلت -مع الأمريكان- فى التنصير للعالم.. فأرسلت... و١٦ منصر كورى إلى الدول الآسيوية، وكان نصيب البلاد الإسلامية ٢٥٪ من هؤلاء المنصرين الكوريين!

ولقد كان نصب أفغانستان ملحوظاً فى هذا الجهد التنصيرى.. فالغزو «الأمريكى -الأطلنطى» لأفغانستان سنة ٢٠٠١م قد قضى على مقومات الأمن الغذائى والصحي للشعب الأفغانى، ولم ينعش فى تلك البلاد سوى زراعة المخدرات- التى تضاعفت مساحتها ثلاث مرات!

وفى ظلّ هذا الفقر المدقع- الذى صنّعه «المدافع العلمانية» تمدد التنصير، الحامل «للإنجيل» مع كسرة الخبز وجرعة الدواء!

وشهيرة تلك الأزمة التى تفجرت -إعلامياً- فى ١٩ يوليو سنة ٢٠٠٧م. عندما أسرت «حركة طالبان» ٢٣ منصرّاً كورياً كانوا

يعملون على تنصير المسلمين في أفغانستان- التي ليس في شعبها نصراني واحد!- ويجعلون ضحاياهم يغنون: «إننى الآن أفهم حب يسوع. هالالويا. إننى الآن نظيف- [وكان الإسلام هو القذارة] وقد أصبحت شخصاً آخر. أمين».

ولقد قامت حركة طالبان بإعدام: أحد هؤلاء المنصّرين - القس «باى هيونج كيو» Pastor Hyun Kuae فى ٢٦ يوليو سنة ٢٠٠٧م.

.. ثم أفرجت عن الباقيين- الذين كان أغلبهم نساء- لقاء فدية.. وبعد تعهد الحكومة الكورية الجنوبية- فى ٢١ يوليو سنة ٢٠٠٧م بمنع سفر المنصّرين إلى أفغانستان، وسحب جنودها من هناك مع نهاية سنة ٢٠٠٧م. كذلك سبق للحكومة الأفغانية أن رحّلت ألفاً من هؤلاء المنصّرين الكوريين، المتدفقين على أفغانستان فى حماية المدافع الأمريكية الأطلنطية!..

ولقد امتد هذا النشاط الكورى -التنصيريّ- إلى بلاد إسلامية كثيرة، منها الصومال والسودان وباكستان وتركيا والشيشان وداغستان.. ولقد قامت الحكومة الروسية بطرد المنصّر الكورى «هنرى لى» من الشيشان وداغستان سنة ٢٠٠٣م^(١).

بل لقد أرسلت هذه الكنيسة الكورية - كنيسة صايمل- قرابة السبعين «متطوعاً» إلى مصر- بلد الأزهر الشريف- وذلك للعمل فى

(١) دكتور محمد السيد سليم- صحيفة [الأهرام] القاهرة- فى ٢، ١٠-٩-٢٠٠٧م.

عشر محافظات مصرية، تحت ستار العمل في مجالات «التكوين المهني والكهرباء والكمبيوتر والتمريض وتعليم اللغة الكورية» للمسلمين المصريين!^(١)

ولقد امتد نشاط هؤلاء المنصرين الكورين إلى العراق - في ظل الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣م - وإلى مواطن تجمعات اللاجئين العراقيين في الأردن وغيرها. . حتى لقد هاجم نشاطهم هذا بطيريك الكاثوليك في العراق «إيمانويل ديلي» في ١٩ مايو سنة ٢٠٠٥ قاتلاً: «إنهم أتوا لتحويل مسلمين فقراء عن دينهم باستخدام بريق المال والسيارات الفارهة»! ..

وأشار إلى ما يحدثون بنشاطهم التنصيري من «تدمير التواصل الاجتماعي والديني بين مكونات الشعب العراقي» ..

ولقد أسرت المقاومة العراقية عدداً من هؤلاء المنصرين الكورين في إبريل سنة ٢٠٠٤م، وتم الإفراج عنهم، بعد إعدام أحدهم - القس «كيم سون إيل» في يونيو سنة ٢٠٠٤م. .^(٢)

- أما الدور التنصيري الأمريكي المباشر في العراق فحدث عنه ولا حرج! ..

ف عندما قادت أمريكا الحرب التي غزت بها العراق في مارس سنة ٢٠٠٣م، رأينا نموذجاً صارخاً للحلف «الإمبريالي - الصليبي» ..

(١) دكتور محمد السيد سليم - صحيفة [الأهرام] القاهرة في ١٠/٩/٢٠٠٧م.

(٢) المرجع السابق في ٢ - ٩ - ٢٠٠٧.

فهي حرب للسيطرة على ثلثي منابع الطاقة في العالم، ليكون القرن الواحد والعشرون قرن الإمبريالية الأمريكية - وحدها دون شريك!

. . . وفي سبيل ذلك وظفت هذه الإمبريالية الأمريكية مؤسسات الصليبية والتنصير لكسر شوكة الإسلام المجاهد - الذي أطلقت عليه أوصاف «الأصولية» و«الإرهاب» و«الأشرار».

ولقد نشرت مجلة «نيوزويك» الأمريكية. إبان الحرب على العراق - عدد ١١ - ٣ - ٢٠٠٣م - أن الرئيس الأمريكى «بوش - الصغير» قد أقنع نفسه، وأعلن أن حربه على العراق «هى حرب عادلة، وفق المفهوم المسيحى، كما شرحه القديس أغسطين [٣٥٤ - ٤٧٠م] فى القرن الرابع. وكما فصله كل من القديس توما الإكوينى [١٢٢٥ - ١٢٧٤م] ومارتن لوثر [١٤٨٣ - ١٥٤٦] وآخرون! وأنه -أى بوش- قد «نبش كلمة «الأشرار» التى أطلقها على العراق وأفغانستان وإيران - وكل قوى الممانعة الإسلامية - من سفر المزامير»!.. وأنه يبدأ عمله صباح كل يوم بالمطالعة - بناء على توصية القس «بيل جراهام» فى كتاب القس «أوزو الدشامبرز» - الذى مات سنة ١٩١٧م وهو يعظ الجنود البريطانيين والأستراليين بالزحف على القدس لانتزاعها من أيدي المسلمين!..

كما نشرت المجلة - الأمريكية - فى ذات العدد - دعم «المؤتمر المعمداني الجنوبي» وقساوسته السياسيين - من أمثال «ريتشارد لاند» و«فرانكلين جراهام» - لغزو العراق، ولتنصير المسلمين فيه!.. وبعبارة «نيوزويك»: «فإن

هؤلاء المبشرين الإنجيليين لا يخفون رغبتهم في تحويل المسلمين إلى المسيحية، حتى - لابل لا سيما - في بغداد»^(١).

ولقد نشرت «نيويورك تايمز» في عددي ٥، ٦ - ٤ - ٢٠٠٣م - أى إبان الغزو للعراق - أن جيشاً من المنصرين الأمريكيين قد صحب الجيش الأمريكي الزاحف على العراق من الكويت.. وأن «من بين تلك الجماعات التبشيرية المصاحبة للجيش الأمريكي في حربه على العراق تابعين للكنيسة المعمدانية والكنيسة المنهجية.. حيث ذكر ممثلو الكنيسة المعمدانية أنه منذ بدأت الحرب الأمريكية على العراق تطوع نحو ٨٠٠ مبشر من خلال مجلسها التبشيري لتقديم الدعم الروحي والمادى للشعب العراقي باسم يسوع المسيح!.. ومن بين هؤلاء المبشرين «فرانكلين جراهام» - الذى دشن حفل تنصيب «بوش» رئيساً لأمريكا - والذى وصف الإسلام بالشر والعنف والإرهاب!.. ووالده «بيل جراهام» - الذى وصف نبي الإسلام بأنه إرهابى ووثنى!..

ولقد أعلن «فرانكلين جراهام» - وهو بالكويت، بهم بدخول العراق، فى ركاب الجيش الأمريكى: «لقد جئت إلى هنا تمهيداً لدخول العراق، فرغم أن نسبة المسلمين فى العراق تشكل ٩٧٪ من إجمالى تعداد السكان، إلا أننا يجب ألا ننسى أن المسيحية سبقت الإسلام فى دخول العراق!.. إننى هنا لدعم مسيحيّ العراق!.. وعندما نقدم الدواء أو الطعام لغير المسيحيين فإننا لا نفعل ذلك باسمنا، ولكننا نفعل ذلك باسم ابن الرب!..»

(١) [نيوزويك] فى ١١ - ٣ - ٢٠٠٣م.

ولقد تحدثت «نيويورك تايمز» عدد ٦ - ٤ - ٢٠٠٣ م عن العقيدة المسيحية الصهيونية الموجهة لأركان الإدارة الأمريكية - التي شنت الحرب على العراق - والتي أعلنت «الحملة الصليبية» ضد الإسلام في ١٦ - ٩ - ٢٠٠١ م - فقالت الصحيفة الأمريكية: «إن السيد «كولن باول» يصف نفسه بأنه عاشق للطقوس الكنسية المسيحية الصهيونية. والسيدة «كوندليزا ريس» كان والدها قسيساً بإحدى كنائس المسيحية الصهيونية بولاية ألاباما.. و«ديك تشيني» يؤمن بنفس المنهج التبشيري للرئيس جورج بوش، والقائم على فكرة أن الطريق إلى التبشيرية يبدأ بالمدفع والإنجيل!.. ونفس الأمر ينطبق على وزير الدفاع «دونالد رامسفيلد».. في حين تؤثر ديانة «بول وولفويتز» - اليهودية - على توجيهاته السياسية.. مما دفع بعض المراقبين للقول: «إن السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية الحالية تتم صياغتها والتعبير عنها طبقاً للمعتقدات التنصيرية، وتقسيم العالم إلى مؤمنين ووثنيين»!^(١).

هكذا استخدمت - وتستخدم - العلمانية الغربية «المدفع والإنجيل» في مواجهة الإسلام والمسلمين!.

(١) [نيويورك تايمز] في ٥، ٦ - ٤ - ٢٠٠٣ م والنقل عن صحيفة [الأسبوع] القاهرة - في ١٤ - ٤ - ٢٠٠٣ م.

الغرب هو الذى يعلن الحرب على الإسلام وحضارته

إنّ الغرب، الذى زرع - ويزرع - العَلمانية فى المجتمعات الإسلامية، بواسطة سلطات الاستعمار المباشر، وبواسطة المتغربين العَلمانيين من أبناء جِلدتنا، الذين صَنَعَهُم على عَيْنِهِ فى بلادنا . هو الذى أعلن الحرب على الإسلام، عندما جعله العدو و«الخطر الأخضر» الذى أحله محل «الخطر الشيوعى الأحمر»، فور سقوط الشيوعية وأحزابها وحكوماتها أوائل سنة ١٩٩١م، لا لشيء إلا لاستعصاء الإسلام على العلمنة، ومن ثمّ استعصائه على التبعية والذوبان فى النموذج الحضارى الغربى، ورفضه - من ثمّ - الاستسلام للإمبريالية الغربية . .

لقد أعلن هذا الغرب الإمبريالى الحرب على الإسلام وأمتة وحضارته وعالمه كى يجرعه «كأس العلمانية المسموم»، الذى همش المسيحية الغربية وأصابها بالهزال والإعياء والإفلاس . .

وعن هذه الحقيقة كتبت مجلة [شئون دولية] - الصادرة فى «كمبردج» بلندن - عدد يناير سنة ١٩٩١م تقول: «لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحلّ محلّ التهديد السوفيتى، وبالنسبة لهذا الغرض فإنّ الإسلام جاهز فى المتناول! ..

إن أوروبيين كثيرين يتساءلون عما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلماني مثلما فعلت المسيحية بعد صراعات كثيرة وطويلة ومؤلمة؟ أم أن رسوخ الإسلام في المجال السياسي والاجتماعي يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحي / الغربي الذي يُمَيِّزُ بين ما لله وما لقيصر، وبما لا يسمح لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يُعَوَّلُ عليها في ديمقراطية علمانية؟

إن النظرية التي يعتنقها علماء الاجتماع، والتي تقول: إن المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يقوض الإيمان الديني، صالحة على العموم.. لقد تناقص التأثير السياسي والسيكولوجي للدين، عملياً في كل المجتمعات، وبدرجات متفاوتة، وأشكال مختلفة.. لكن عالم الإسلام استثناء مدهش وتام جداً من هذا... فلم تتم أى عملية علمنة في عالم الإسلام.

إنَّ سيطرة الإسلام على المؤمنين به هي سيطرة قوية، هي بطريقة ما أقوى الآن عما كانت من مائة سنة مضت. إن الإسلام مقاوم للعلمنة نوعاً ما، والأمر المدهش هو أن هذا يظل صحيحاً في ظل مجموعة مختلفة من النظم السياسية، فهو صحيح في ظلَّ نظم راديكالية (ثورية) اجتماعياً، وهو صحيح أيضاً في ظل النظم التقليدية.. وهو صحيح بالنسبة إلى النظم التي تقف بين النوعين.

إنَّ وجود تقاليد محلية للإسلام.. قد مكن العالم الإسلامي من أن يفلت من المعضلة التي أرقت مجتمعات أخرى أثار الغرب فيها الاضطراب والإذلال.. معضلة إضفاء الطابع المثالي على الغرب ومحاكاته.. لقد امتلك

الإسلام مقومات الإصلاح الذاتى، باسم الإيمان المحلى، وذلك هو التفسير الأساسى لمقاومة الإسلام المرموقة لاتجاه العلمنة..

إنَّ الإسلام، من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍّ فعلي وحقيقي لمجتمعات يسودها مذهب اللاأدرية وفتور الهمة واللامبالاة، وهى آفات من شأنها أن تؤدِّي إلى هلاك تلك المجتمعات مادياً، فضلاً عن هلاكها المعنوى..»^(١).

وعن ذات الحقيقة - حقيقة استعصاء الإسلام على العلمنة والتبعية للنموذج الغربى . . وعداء الغرب للإسلام بسبب هذه الممانعة الفريدة والأكيدة - يقول المفكر الاستراتيجى الأمريكى «فوكوياما»: «إنَّ الحدائث التى تمثلها أمريكا وغيرها من الديمقراطيات المتطورة، ستبقى القوة المسيطرة فى السياسة الدولية، والمؤسسات التى تجسد مبادئ الغرب الأساسية ستستمر فى الانتشار عبر العالم.. وهذه القيم والمؤسسات تلقى قبولاً لدى الكثير من شعوب العالم غير الغربية، إن لم نقل جميعها.. ولكن السؤال هو: هل هناك ثقافات أو مناطق فى العالم ستقاوم، أو تثبت أنها منيعة على عملية التحديث - بهذا المعنى الأمريكى والغربى!«.

ثم يجيب «فوكوياما» على هذا التساؤل الذى طرحه فيقول:

«إن الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة فى العالم التى يمكن الجدال

(١) مجلة [شئون دولية] عدد يناير سنة ١٩٩١م ملف عن الإسلام والمسيحية «العالم الاجتماع إدوارد مورتيمر».

بأن لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة.. فالعالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات فى وجه واحد مهم، فهو وحده قد وُلد تكررًا خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة، ترفض لا السياسات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة: العلمانية نفسها.. وإنه بينما تجد شعوب آسيا وأمريكا اللاتينية ودول المعسكر الاشتراكي وأفريقيا الاستهلاكية الغربية مغرية، وتود تقليدها - لو أنها فقط استطاعت ذلك - فإن الأصوليين المسلمين يرون فى هذه الاستهلاكية دليلاً على الانحلال الغربى».

ويعترف «فوكوياما» أن هذا الاستعصاء الإسلامى على العلمنة، وهذه الممانعة الإسلامية للحداثة الاستهلاكية الغربية هى سبب الحرب التى يشنها الغرب على الإسلام - وليس السبب هو ما يسميه الغرب بـ «الإرهاب!» - فيقول: «إن المسألة ليست -ببساطة- حرباً على الإرهاب، كما تظهر الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم - [!؟] وليست المسألة الحقيقية - كما يجادل الكثير من المسلمين - هى السياسة الخارجية الأمريكية فى فلسطين، أو نحو العراق، إن الصراع الأساسى الذى نواجهه، لسوء الحظ أوسع بكثير، وهو مهم، ليس بالنسبة إلى مجموعة صغيرة من الإرهابيين، بل لمجموعة أكبر من الراديكاليين الإسلاميين، ومن المسلمين الذين يتجاوز انتمائهم الدينى جميع القيم الأساسية الأخرى.. إن الصراع الحالى ليس - ببساطة- معركة ضد الإرهاب.. ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التى تقف ضد الحداثة الغربية.. إنه يشكل تحدياً أيديولوجياً هو، فى بعض جوانبه، أكثر أساسية من الخطر الذى شكلته الشيوعية.

وإن التطور الأهم ينبغي أن يأتي من داخل الإسلام نفسه، فعلى المجتمع الإسلامي أن يقرر فيما إذا كان يريد أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة، وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية.. أم لا»^(١).

فهذه الحرب الصليبية الغربية المعلنة على الإسلام وأمتة وحضارته - والتي تقودها أمريكا - ليس سببها - باعتراف «فوكوياما» - ما يسمّى بالإرهاب.. وإنما السبب الحقيقي والأعمق هو استعصاء الإسلام على العلمنة.. ورفضه للحداثة الاستهلاكية الغربية!..

(١) [نيوزويك]- العدد السنوي: ديسمبر سنة ٢٠٠١م - فبراير سنة ٢٠٠٢م.

تاريخ الغرب العلماني في استخدام الصليبية ضد الإسلام

وإذا كان هذا هو تاريخ الغرب العلماني في استخدام الصليبية سلاحاً في مشروعه الإمبريالي ضد العالم الإسلامي - وهو تاريخ قديم قدم المشروع الإمبريالي الغربي.

- الذي استخدم النصرانية الرومانية، والبيزنطية لقهر النصرانية الشرقية، لعدة قرون قبل ظهور الإسلام، والفتوحات الإسلامية.

- والذي استخدم الحملات الصليبية مدة قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩٦م] لإعادة اختطاف الشرق من الإسلام.

فإن هذه النزعة الدينية الصليبية قد انتعشت وتزايدت في اللغة الغربية والسياسات الغربية والممارسات الغربية ولدى النظم الغربية - المفترض علمانيتها! - في العقود الأخيرة، لأسباب عديدة منها الصحوة الإسلامية التي أعادت الإسلام ليكون «الفكرية - الأيديولوجية» التي يواجه بها المسلمون الإمبريالية الغربية - بعد سقوط الخيارات والنماذج التغريبية في المجتمعات الإسلامية.

وعن هذه الحقيقة الهامة - حقيقة تزايد اللغة الدينية والتأثير الديني لدى المؤسسات السياسية الغربية - تقول مجلة [شئون دولية]:

«إنه من الواضح أن الدين أصبح يقتحم الشؤون الدولية بصورة متزايدة، أو بالأحرى يعيد إدخال نفسه فيها..»

ويصعب أن تكون مصادفة أن الديمقراطيين المسيحيين فى كل بلد أوربى موجودون على الدوام بين أشد أنصار الوحدة الأوربية حماساً، أو أن القادة القوميين الثلاثة الذين أرسوا أسس الاتحاد الأوربى الحالى، كونوراد أديناور [١٨٧٦ - ١٩٦١م] والسيد دى جاسبرى [١٨٨١ - ١٩٥٤م] وروبرت شومان [١٨٨٦ - ١٩٦٣م] - كانوا جميعهم من الديمقراطيين المسيحيين، ومن الكاثوليك المخلصين. إن هناك انطباعاً قوياً بأن الإشارات إلى المسيحية - فى سباق دولى - قد تضاغت فى وسائل الإعلام الغربية.. ولا شك أن السبب الرئيسى فى هذا هو التغييرات التى وقعت فى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية - ففى بعض بلدان أوربا الشرقية لعبت الكنيسة دوراً مهماً فى إحداث التغيير السياسى: بولندا بصورة واضحة، وألمانيا الشرقية بصورة غير متوقعة، بدرجة أكبر، وكذلك تشيكوسلوفاكيا إلى حد ما. وفى الاتحاد السوفيتى بدأ التغيير من أعلى، وعلى يد المثقفين العلمانيين، لكن دور المنشقين المسيحيين فى مقاومة النظام، وتقديمهم لإدانته لم يكن بحال من الأحوال أمراً تافهاً، والأمر الذى كان مدهشاً حقاً هو السرعة التى اتجه بها المجتمع والدولة على حد سواء إلى الكنيسة فى بحث يأس عن شىء يملأ الفراغ الأخلاقى المروع الذى كشف عنه انهيار الأيدولوجية الشيوعية. وكان لهذه الأحداث تأثير مدهش على المواقف الغربية.. فبدلاً من الكتلة السوفيتية.. اكتشفنا زملاء أوربيين يشاركوننا ميراثنا الحضارى والدينى..

وكان لا بدّ لأوروبا - التي اعتادت أن تعرّف نفسها من خلال تحديد الآخر - أن تبحث عن آخر جديد يحلّ محلّ الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي بعدما انهارت أيديولوجيته، وكان هذا الآخر هو الإسلام.. إننا فى وقت يسود فيه انطباع قوى بتضاعف الإشارات إلى المسيحية فى السياق الدولي..».

هكذا حللت المجلة الأكاديمية الرصينة هذا المتغير الهام.. متغير عودة العامل الدينى إلى السياسات الغربية من جديد.. وبصورة ملحوظة ومؤثرة ومتزايدة.. بعد أن «كان المجتمع الدولي للقرن العشرين تسوده الثقافة الغربية الحديثة، وواحدة من سماتها العلمانية»^(١).

(١) [شؤون دولية] مصدر سابق.

الخلاصة

وخلاصة هذا التحليل هي:

- ١- عودة العامل الدينيّ إلى الدخول والبروز والفعل والتأثير في السياسات الغربية.
- ٢- دور المسيحية - والأحزاب المسيحية الديمقراطية - في تأسيس الوحدة الأوروبية.
- ٣- دور الكنائس الأوروبية في إسقاط الشيوعية، وإعادة أوروبا الشرقية إلى الحضارة الغربية: المسيحية / اليهودية.
- ٤- عودة الدين كى يصبح «معيّاراً» فى تعريف أوروبا «لنفسها» إزاء «الأخر».
- ٥- دور هذا العامل والمعيّار الديني فى اختيار الغرب للإسلام عدوّاً أحله محلّ العدو الشيوعيّ! أى عودة النزعة الصليبية - من جديد - إلى السياسة الدولية، وخاصة فى المواجهة الغربية مع الإسلام.
- وفى الحقبة الرومانية والبيزنطية تجلّت الوحدة بين «القيصرية» و«الكنيسة» فى مواجهة الشرق ونصرانيته.
- وفى الحقبة الصليبية - بالعصور الوسطى الأوروبية - توحد «أمراء الإقطاع الأوروبيون» مع «الكنيسة» و«البورجوازية التجارية» ضد الإسلام والشرق الإسلامى.

- واليوم.. وعقب سقوط «الخطر الشيوعي الأحمر» - وتوحد الغرب في إطار الحضارة المسيحية / اليهودية - وإحلال الغرب الإمبريالي الإسلام وصحوته عدواً وخطراً أخضر. . تعود الوحدة لمؤسسات الهيمنة الغربية في المواجهة مع الإسلام. . وفي مقدمة هذه المؤسسات «المؤسسات السياسية» و«الكنائس الغربية».

- وفي ضوء هذا المتغير - الذي يجب أن يأخذ حقه في الدرس والتحليل - نفهم الحديث عن وجوب جعل أوروبا «نادياً مسيحياً» مغلقاً في وجه تركيا المسلمة - وهو موقف يُعلنه السياسي الفرنسي «جيسكار ديستان» - واضع دستور الاتحاد الأوربي. . ونفهم موقف الفاتيكان الرفض لدخول تركيا إلى هذا «النادي المسيحي»! . .

- ونفهم - كذلك - تخلي العلمانية الفرنسية عن حيادها إزاء الأديان، لتقف - في مسألة الحجاب - ضد الشعائر الإسلامية على وجه الخصوص! ونفهم إعلان بابا الفاتيكان «بنديكتوس السادس عشر» عن مخاوفه الثلاثة:

- ١- انقراض المسيحيين الأوربيين ديموجرافياً.
- ٢- وحلول الهجرات الإسلامية - العربية والإفريقية - محلّ المسيحيين الأوربيين المنقرضين.
- ٣- وتحول أوروبا إلى «جزء من دار الإسلام في القرن الواحد والعشرين»!^(١).

(١) [بلا جذور، الغرب، النسبية، المسيحية والإسلام] - مصدر سابق.

ونفهم اتحاد المؤسسات الغربية، واجتماعها - سياسية ودينية - على التخويف من الإسلام.. فمع القوانين المقيدة لحرية المسلمين في الغرب، والتي تقنن التمييز العنصري ضدهم.. ومع حملات الإعلام والثقافة التي تشيع الكراهية ضد الإسلام والمسلمين - والتي تمارسها المؤسسات السياسية الغربية - تأتي تصريحات كبار الكرادلة المحرّضة على الإسلام والمسلمين.

- فالكاردينال الإيطالي «جاكوموبيفي» أسقف بولونيا - يدعو إلى «استئصال المسلمين من أوروبا»!.

فصورة أوروبا والغرب - بل والعالم - بنظره - لا يمكن أن تكون متعددة الديانات! ووفق عبارته: «فإما أن تتحول أوروبا إلى مسيحية فوراً، وإلا ستكون إسلامية مؤكداً»^(١).

- والكاردينال «بول بوبار» - مساعد بابا الفاتيكان، ومسئول المجلس الفاتيكاني للثقافة: يعلن: «إن الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لأوروبا وللغرب عموماً»!^(٢).

- والمونسنيور «جوزيبي برنارديني» يقول - في حضرة بابا الفاتيكان: «إنّ العالم الإسلامي سبق أن بدأ ييسط سيطرته بفضل دولارات النفط. وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين في الدول

(١) صحيفة [العالم الإسلامي] مكة في ٦ - ١٠ - ٢٠٠٠ م.

(٢) صحيفة [الشرق الأوسط] لندن في ١ - ١٠ - ١٩٩٩ م.

المسيحية، بما في ذلك روما عاصمة المسيحية. فكيف يمكننا ألا نرى في ذلك برنامجاً واضحاً للتوسع، وفتحاً جديداً^(١).

- والحكومات الغربية - التي كانت حارسة للحياد بين الأديان - غدت الحامية للتهجم على الإسلام ورموزه ومقدساته، تحت ستار «حرية التعبير»! . . وبعد أن كانت شديدة العداء ضد الأحزاب الفاشية الجديدة، رأيناها تفسح المجال للمظاهرات التي تقودها هذه الأحزاب الفاشية - في العديد من العواصم والمدن الأوروبية - في سبتمبر سنة ٢٠٠٧م - ضد ما يسمونه «خطر أسلمة أوروبا»!! .

- وبعد منع المآذن في سويسرا، تعلن المستشار الألمانية «أنجيلا ميركل» - التي منحت جائزة حرية التعبير للرسام الدينامركي صاحب الرسوم المسيئة لرسول الإسلام ﷺ - تعلن عن «فشل» تجربة التنوع الثقافي في أوروبا، وعن ضرورة التزام المهاجرين في ألمانيا - أي المسلمين - بالقيم المسيحية!!

هكذا يتصاعد التحالف «العلماني - الصليبي» الغربي ضد الإسلام والمسلمين . . وتتزايد - في مواجهة الصحوة الإسلامية والصمود الإسلامي - «اللغة الدينية» في المؤسسات الغربية - العلمانية والدينية جميعاً - . . وتسعى الإمبريالية الغربية - في سبيل استعمارها الجديد لعالم الإسلام - إلى استخدام «المدفع . . والإنجيل» لكسر شوكة

(١) صحيفة [الشرق الأوسط] لندن في ١٣ - ١٠ - ١٩٩٩م.

الإسلام والصحة الإسلامية التي سرت وتسرى روحها بين جماهير المسلمين. ويجد المسلمون أنفسهم اليوم - كما وجدوها على امتداد تاريخهم الطويل - أمام السنّة الإلهية التي لا تبديل لها ولا تحويل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦، ٣٧]. صدق الله العظيم.

المصادر والمراجع

- ١- ابن خلدون: [المقدمة] طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.
- ٢- أحمد عبد الوهاب: [الإسلام فى الفكر الغربى] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.
- ٣- الأفغانى - جمال الدين: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.
- ٤- إميل بولا: [الحرية، العلمنة، حرب شطرى فرنسا ومبدأ الحداثة] - طبعة باريس سنة ١٩٨٧م.
- ٥- أمين سامى باشا: [تقويم النيل] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦م.
- ٦- جوتفرايد كونزلن: [مأزق المسيحية والعلمانية فى أوروبا] تقديم وتعليق: دكتور محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.
- ٧- جوزيف راتزنجر، مارسيلو پيرا: [بلا جذور، الغرب، النسبية، المسيحية والإسلام] طبعة نيويورك سنة ٢٠٠٦م.
- ٨- الزركلى - خير الدين: [الأعلام] طبعة بيروت.
- ٩- سانتيلانا: [القانون والمجتمع] منشور ضمن كتاب [تراث الإسلام]. ترجمة: جرجيس فتح الله. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

- ١٠- سر كيس: [معجم المطبوعات العربية والمعربة] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م.
- ١١- دكتور السيد أحمد فرج: [علماني وعلمانية: تأصيل معجمي] - مجلة [الحوار]. عدد ٢ سنة ١٩٨٦م.
- ١٢- دكتور طه حسين: [مستقبل الثقافة فى مصر] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م، [من الشاطئ الآخر] ترجمة: عبد الرشيد الصادق - المحمودى - طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.
- ١٣- الطهطاوى - رفاة: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م. وطبعة القاهرة - مكتبة الأسرة - سنة ٢٠١٠م.
- ١٤- دكتور عاطف غيث - إشراف: [قاموس علم الاجتماع] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.
- ١٥- دكتور عبد الرحمن بدوى: [موسوعة الفلسفة] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤م.
- ١٦- عبد الرحمن الرافعى: [عصر إسماعيل] طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨م - [مصر والسودان] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.
- ١٧- عبد الله النديم: مجلة [الأستاذ] - عدد ٢٢ - سنة ١٣١٠هـ - سنة ١٨٩٣م.

١٨- على عبد الرازق: [الإسلام وأصول الحكم] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥م.

١٩- الغزالي - أبو حامد: [الاقتصاد فى الاعتقاد] طبعة مكتبة صبيح - ضمن مجموعة - القاهرة- بدون تاريخ.

٢٠- مؤتمر كولورادو: [التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى] طبعة مالطا سنة ١٩٩١م. وطبعة مكتبة وهبة - القاهرة سنة ٢٠١٠م.

٢١- مجمع اللغة العربية: [معجم العلوم الاجتماعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م.

٢٢- دكتور محمد البهى: [العلمانية والإسلام بين النظرية والتطبيق] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م.

٢٣- محمد حميد الله - محقق: [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

٢٤- محمد عبده - الأستاذ الإمام: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة - طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م. وطبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

٢٥- دكتور محمد عمارة [الإسلام والسياسة] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م [الفايكان والإسلام] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٧م- [من أعلام الإحياء الإسلامى] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م - [مسلمون ثوار] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

- [هل الإسلام هو الحل]؟ - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

٢٦- دكتور محمود قاسم: [الإمام عبد الحميد بن باديس] طبعة دار المعارف - القاهرة.

موسوعات:

[موسوعة العلوم السياسية] طبعة الكويت سنة ١٩٩٤م.

دوريات:

- ١- الأهرام - القاهرة.
- ٢- الشرق الأوسط - لندن.
- ٣- فوكس - ألمانيا.
- ٤- المدينة - السعودية.
- ٥- شئون دولية - لندن.
- ٦- الرسالة - السعودية.
- ٧- العالم الإسلامي - السعودية.
- ٨- الدعوة الإسلامية - ليبيا.
- ٩- نيوزويك - الطبعة العربية.
- ١٠- نيويورك تايمز - أمريكا.
- ١١- أويست فرانس - باريس.
- ١٢- الأستاذ - القاهرة.
- ١٣- الحوار - بيروت.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
١- العلمانية بين الغرب والإسلام	
نشأة العلمانية	٩
وفود العلمانية إلينا فى ركاب الغزوة الاستعمارية	١٥
الأصول الإسلامية لرفض العلمانية	٢٤
المتغربون.. العلمانيون	٣٧
٢- علمانية المدفع والإنجيل	
كأس العلمانية المسموم	٤٣
حقائق وأرقام على أرض الواقع	٤٦
الروح الصليبية حية ومتوقدة فى مواجهة الإسلام	٤٩
صور من التحالف بين المدفع العلماني وإنجيل المنصرّين	٥٢
الغرب هو الذي يعلن الحرب على الإسلام وحضارته	٦٢
تاريخ الغرب العلماني فى استخدام الصليبية ضد الإسلام	٦٧
الخلاصة	٧٠
المصادر والمراجع	٧٥
الفهرس	٧٩